جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

المفارقة في شعر محمود الخفيف
"دراسة فنية تحليلية"

الدكتور

نبيل أحمد عبد العزيز رفاعى

أستاذ الأدب والنقد المساعد فى كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بسوهاج

العدد السابع عشر
للعام ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م
الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٣م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

المفارقة ظاهرة فنية جديرة بالبحث والدراسة؛ حيث إن كثيرًا من الفنون والعلوم تتجاذب أطرافها؛ لأنها في حاجة ماسة إليها، فتحتاج إليها الفلسفة كما يحتاج إليها الأدب وعلم الاجتماع، بل وعلم النفس أيضًا؛ لأنها كثيرًا ما تكون داخل النفس الإنسانية مثلما تكون خارجها؛ لذا وجدنا اختلافات كثيرة حول تحديد التعريف نتيجة غموض المصطلح، مما دعا (دي سي ميويك) أن "يؤكد على وجود الظاهرة قبل إطلاق الاسم عليها، وبالتالي الكلمة وجدت وأطلقت على الظاهرة قبل المفهوم"(١).

من هذا المنطلق وجدنا الدكتور "ناصر شبانة" يؤكد على ضرورة الفصل بين وجود المفارقة ووعي الإنسان بها، ويضرب لذلك مثالاً: "أن والدا قابيل وهابيل أدركا بعمق المفارقة، حين طعن قابيل أخاه هابيل، لكنهما لم يعيا المصطلح، وكذلك المهلهل الذي قتل أخاه كليب وأنشد شعرًا"(٢). قصد من خلال هذا المثل وجود المفارقة في طيات هذه الأحداث، والإنسان غير واعٍ لذلك. من هنا يمكننا أن نؤيد الرأي الذي يؤكد على أن "المفارقة جزء من طبيعة الحياة كلها؛ لأن الحياة من حولنا مليئة بالخلل والتناقضات، والأقوال والأفعال والأحداث غير المبررة، بل إن هذا التناقض/ المفارقة كثيرًا ما يكون داخل النفس الإنسانية، وليس خارجها فحسب. وإذا كانت المفارقة جزءًا من الحياة والنفس، فإنهما – كذلك – جوهر في الأدب، فهي تعكس وظيفته النهائية التي تقوم على الصراع بين الذات والموضوع، الداخل والخارج، الوجود والعدم"(٣).

لذا أجد نفسي أقف موقف المعارض لمن يقول بأن صانع المفارقة

---

(١) موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها – دي سي ميويك، ترجمة الدكتور/ عبدالواحد لؤلؤة، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، ط ١٩٩٨م، مجلد ٤ صـ٢١.

(٢) مفارقة في الشعر العربي – ناصر شبانة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٢م، صـ٢٨.

(٣) تأويل الخطاب الشعري النظرية والتطبيق، محمد أحمد العزب نموذجًا – إبراهيم أمين الزرزموني– مكتبة الآداب – ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م – صـ١٣٦.

"سقراط" أو غيره، فكان من الواجب على من يقول ذلك أن يؤكد لنا أنه يقصد بقوله هذا "اللفظ" وليس المفهوم؛ لأن مفهوم هذا المصطلح قديم قدم الإنسان، يقول أحد النقاد:- "إن المفارقة ظاهرة أساسية في الطبيعة الإنسانية، وتكاد تكون سلسلة المقابلات هي أبرز السلاسل التى تنظم الحياة، فلا كبر إلا وله صغر، ولا أول إلا وله آخر، ولا نوم إلا وله يقظة، والإيقاع الفطري عند المبدع هو الذي يقوده بالضرورة إلى ربط هذه الإدراكات بعالمه الشعري، ثم يقوده بالضرورة إلى لغة تحتويها ليحقق التوافق بين الصياغة والعالم دون أن يفقد في هذه العملية ذاتيته التي قد تمايز بين عناصر المفارقة فتزيد في هذه، وتنقص في تلك"(١).

من هنا يتبين لنا أن المفارقة كامنة في الطبيعة الإنسانية، إلا أنها لا تظهر لنا إلا من خلال مبدع يقوم بربط الإدراكات فيما بينها وبين بعض.

لذا كان انطلاقي نحو القيام بعمل هذا البحث في المفارقة الشعرية عند شاعر لم يأخذ حقه، ولم ينل المكانة التي يستحقها مع أنه يُعدّ من الشعراء العظام في العصر الحديث، وفي جيل الستينيات بالذات، ألا وهو "محمود الخفيف"، فبالنظر إلى ديوانه نجد أن المفارقة عنده تعبّر عنه بعدٍ نفسيٍّ مؤلم ومؤثر، خاصة وأنه عاش في فترة كان على الأديب أن يعمل ألف حساب لكلمته التي قد لا توافق من بيدهم زمام الأمور، فلقد أزعج شعره الوطني كثيرًا ممن يعدونه هجومًا عليهم؛ لأنه نقد الكثيرين ممن عملوا على هدم الوطن واللعب بمقدراته، وسنتطرق لذلك عند الحديث عن الشاعر. فالمفارقة في شعره تحتاج إلى قارئ مميز وحصيف، قارئ متمهل متأنٍّ ليدرك ما فيه.

إن هذا الرجل جديرٌ بالدراسة والبحث؛ لأن شعره يحمل كثيرًا من المتناقضات، كما أنني رأيت من العيب والعار أن توضع أعماله في طيِّ النسيان.

ومع أن المفارقة تظهر جلية واضحة كل الوضوح في الأعمال المسرحية والقصصية، إلا أنني رأيت أن أدرس هذا المفهوم عند شاعر من الشعراء، وذلك

(١) بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي – محمد عبد المطلب، القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٨م – صـ٤٥١.

لإيماني بأن "الشاعر جزء من عالمه الكبير، وشعره نوع من خلق العالم باللغة، واللغة في الشعر تجلٍّ "خاص" تنبني عليه رؤية "خاصة" للعالم والأشياء التي تعتبر المفارقة جزءًا أساسيًّا منها. ولذا تُعدُّ المفارقة تقنية من تقنيات ذلك الخلق الخاص باللغة، وتعتمد – بوصفها تقنية شعرية لغوية – على تشكيل يُفجِّر في اللغة الشعرية كوامنها؛ للتوصل إلى عمل إبداعي يواجه الضرورة في الواقع، ويوقظ الوعي في المتلقي، ويكشف عن زيف كثير من مسلمات هذا الواقع"(١).

حقًّا لقد كان الشاعر "محمود الخفيف" جزءًا من عالمه الذي يعيش فيه، فقد عبَّر في شعره عن هموم وطنه، بل وهجم على كل أعدائه أيّاً كانت مناصبهم أو سلطاتهم، ولقد شاعت المفارقة في شعره بدرجة واضحة ظاهرة؛ نظرًا لما مرّ به من أحداث معاشة كانت أو ذهنية؛ لأنه عبّر عن أحداث عرفها من خلال اهتمامه بدراسة التاريخ، فالدارس لشعره يجد كثيرًا من المتناقضات التي تظهر فيها المفارقة المصورة تصويرًا بارعًا عظيمًا.

وقد جاءت الدراسة على النحو التالي: –

المقدمة : وتحدثت فيها عن أهمية المفارقة بالنسبة لمختلف العلوم والفنون، وعن غموض هذا المصطلح، كما تحدثت عن ضرورة الفصل بين وجود المفارقة ووعي الإنسان بها.

التوطئة : وضحت فيها وعي الإنسان بالمفارقة، وتحدثت عن هذا المصطلح، وعن الحقول المعرفية التي تغذي المفارقة، وتناولت بعض التعريفات التي تؤكد على أهمية المفارقة، كما تحدثت عن حياة شاعرنا ونشأته ومؤلفاته، وآراء بعض الأدباء فيه.

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن تعريف المفارقة لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني : وجاء فيه، الرحلة التاريخية لمفهوم المفارقة وهي متعددة:–

المفارقة عند العرب (البلاغة العربية القدمية – المفارقة والفلسفة – عند الفلاسفة المحدثين – في النقد الحديث).

(١) تأويل الخطاب الشعري – مرجع سابق صـ١٣٦.

المبحث الثالث : وتناولت فيه الآتي : -

صاحب المفارقة أو صانع المفارقة – المفارقة والقارئ أو المتلقي – لغة المفارقة – أدوات المفارقة – عناصر المفارقة – وظيفة المفارقة – أهداف المفارقة – أنواع المفارقة – بواعث المفارقة عند الخفيف.

المبحث الرابع : وجاء فيه : أنواع المفارقات عند "محمود الخفيف"،

أولاً : المفارقة اللفظية ، ثانيًا : مفارقة التضاد ، ثالثًا : مفارقة السخرية – مفارقة الإنكار – مفارقة الموقف

المبحث الخامس: وفيه ما يأتي : -

المفارقة الرومانسية – المفارقة الدرامية – المفارقة التصويرية – المفارقة الزمانية – المفارقة المكانية – المفارقة الشخصية.

المبحث السادس : وعنوانه : المفارقة والقيم الفنية :

التشبيه – الاستعارة – الكناية – الطباق – الجناس – التكرار – الاقتباس.

الخاتمة : وتحدثت فيها بطريقة موجزة عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

الفهرس:

أ – فهرس المصادر والمراجع .

ب – فهرس المحتوى .

أرجو أن تحقق الدراسة هدفها المنشود ، وأن تكون خطوة على طريق البحث الجاد، تتبعها خطوات، وأرجو أن يكتب لها التوفيق والسداد.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

صدق الله العظيم

التوطئة

تضرب المفارقة بجذورها في التاريخ، كما وضح لنا في مثال "قابيل وهابيل" الذي ذكرناه سابقًا، كما يوجد من يؤكد أن "المفارقة "كمفهوم لا يخلو منها عصر من العصور؛ وذلك لحسها الأصيل في الإنسان، تقول الدكتورة "نبيلة إبراهيم":- "ولما كان حس المفارقة أصيلاً في الإنسان فإنه لا يخلو عصر من العصور أو أدب من الآداب ولو بدرجات متفاوتة من التعبير بالمفارقة"(١).

لقد ارتبط الإنسان بالمفارقة، ووعاها منذ قديم الزمان، وذلك بالتحديد منذ قصة "آدم وحواء" وهبوطهما من الجنة، تقول إحدى الناقدات:- "بدأ وعي الإنسان بالمفارقة مع قصة الخلق، قصة آدم وحواء في الجنة وهبوطهما منها؛ فلقد منعا من أن يأكلا من شجرة ما، أو بالأحرى من ثمارها. والتحريم معناه: كبح لرغبة الإنسان في شيء ما، وإذا كانت الرغبة قد تركزت في أكل ثمرة من ثمار تلك الشجرة، فإن هذا يعني أن الثمرة بدت لهما آنذاك جميلة وحلوة، فلما صدر الأمر بالتحريم، كان لا بد أن ينتقل فكر الإنسان الأول إلى أن الثمرة الجميلة الحلوة قبيحة كريهة، وهذه هي المفارقة الأولى، وهي الخلط بين القبح والجمال. ولا بد أن الشيطان بدا لهما في لحظة من الزمن غير مرادف للشر؛ إذ أنه ساعدهما على التأكد من حلاوة الثمرة، ولكنهما استكشفا بعد ذلك أن الشيطان شر مطلق؛ إذ إنه كان السبب في خروجهما من الجنة. وكانت هذه هي المفارقة الثانية"(٢).

من هنا يظهر لنا أن فلك المفارقة التي تدور حوله، إنما هو الحياة بكل ما فيها من أفعال وحركات، وكلمات تحمل في طياتها مفهوم المفارقة.

إن "مصطلح "المفارقة" (L'iRonie) من المصطلحات التي تتردد بكثرة في النقد العربي المعاصر، وهو مفهومٌ حيٌّ تتنازعه مقاربات مختلفة أشد الاختلاف، فقد يجد فيها عالم الاجتماع تجليًا من تجليات العلاقات الاجتماعية بين الأفراد،

---

(١) فن القص بين النظرية والتطبيق – نبيلة إبراهيم، مصر – مكتبة غريب – د.ط – د.ت – صـ٢١٨.

(٢) المفارقة – نبيلة إبراهيم – مجلة فصول – مجلة النقد الأدبي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – أبريل – سبتمبر ١٩٨٧م – المجلد ٧ – العدد ٣ ، ٤ – صـ ١٣١.

ويجد فيها الفيلسوف شكلاً من أشكال الوعي والجدل الصاعد. فالمفارقة من المفاهيم المعرفية التي تُغزى حقولاً معرفية مختلفة، إذ تكاد لا تستثني نشاطًا إبداعيًا يأتيه الإنسان"(١).

لذا رأينا "دي سي ميويك"، يؤكد على أن المفارقة "لا تقتصر على اتخاذ أشكال شتّى، بل إنها من حيث المفهوم في حالة تطور مستمر. فقد كانت "المفارقة" في القرن السادس عشر لا تزيد على كونها صيغة بلاغية، ولا يعني ذلك أن ما ندعوه اليوم مفارقة لم يكن يجري تداوله أو الاستجابة إليه، بل يعني ذلك أن ذلك لم يكتسب اسمًا في وقته. لكن المفارقة اليوم "تعني" أشياء شتى إلى أناس شتى".(٢)

ومن الحقول المعرفية التي تغزيها المفارقة "الأدب"، بل يُعدُّ أكثر الفنون اتساعًا لهذه الظاهر؛ لأن لغته هي الأكثر قدرة على التعبير عما يتحدث به الناس، وهي التي تستطيع أن تعبر عن أفكارهم ومشاعرهم التي تنتج عنهما المفارقة، إن "مجال المفارقة في الأدب أكثر اتساعًا، فالأدب مثل جميع الفنون، يستطيع أن يحاكي بأسلوب ساخر أسلوب فنان آخر أو حقبة أخرى. ويستطيع ، مثل الفنون التخطيطية، أن يصور مواقف ساخرة، لكن لغة الأدب أكثر قدرة على التعامل مع ما يقول الناس أو يفكرون أو يشعرون أو يعتقدون، ومن ثم على تناول الفرق بين ما يقول الناس وما يفكرون وبين ما يعتقدون وما هو واقع الحال .وهذا بالضبط هو المجال الذي تنشط فيه المفارقة".(٣)

من خلال ما سبق يتضح لنا مدى ارتباط الإنسان بالمفارقة، بل الصلة القوية بينهما، مما يؤكد – من وجهة نظري – أن المفارقة أمر فطري داخل الإنسان، فهو يحب ويكره، وينام ويستيقظ، وينشط ويكسل،..الخ. هذا ما يؤكد لنا

---

(١) خطاب المفارقة في الأمثال العربية، مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا – رسالة دكتوراه، النقد الأدبي، إعداد الطالبة/نوال بن صالح – جامعة بسكرة – كلية الآداب٢٠١١/٢٠١٢م، صـ أ.

(٢) موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها – دي سي ميويك – صـ٢١مرجع سابق.

(٣) موسوعة المصطلح النقدي – المفارقة وصفاتها – دي سي ميويك – صـ١٧ – مرجع سابق.

أيضًا خطأ من ينسب بداية المفهوم لفيلسوف من الفلاسفة أو لأديب من الأدباء، فالظاهرة قديمة قِدم الإنسان كما وضحنا، إلا أن تحديد المفهوم لم يتعارف عليه إلا حديثًا.

والآن نود أن نشير إلى بعض التعريفات الموجزة التي تؤكد على أهمية المفارقة في الحياة الإنسانية عامة.

"لن تستطيع أن تستخدم اللغة استخدامًا فنيًا كاملاً إلا بعد أن تعيش معك المفارقة، ثم تأتيك عفوًا". كينث بيرك.

"إن المفارقة هي ذرة الملح التي تجعل الطبق شهيًا". توماس مان.

"حياة بدون مفارقة، غابة بدون طيور".(١) أناتول فرانس.

من خلال هذه التعريفات يرسخ في أذهاننا مدى قيمة هذا الفن خاصة عندما يكون في الحقل الأدبي .

علنا بذلك نكون قد أعطينا تصورًا بسيطًا عن المفارقة عامة، والمفارقة الأدبية خاصة.

والآن نعطي فكرة مبسطة عن شخصية الشاعر الذي اخترناه لنبين قيمة هذا المصطلح الأدبي من خلال أعماله، لنبرز إلى الوجود أعمال شاعر ما كان يجب على الأدباء والنقاد أن يتجاهلوه مع كثرة أعماله؛ لأن في هذا غُبنٌ كبير لشاعر من الشعراء البارزين في عصره.

من هو" محمود الخفيف " ؟:-

بتاريخ ١٩٠٩/١/٣م ولد الأستاذ "محمود الخفيف" ببلدة "الشهداء" بمديرية "المنوفية" – وفي الرابعة من عمره التحق بكتّاب القرية، وقد ظهرت عليه ملامح الذكاء وهو لا يزال طفلاً، وحفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة.

اتجه إلى التعليم الأزهري بمدرسة "حسن باشا ماهر" بالقلعة لمدة سنتين، ثم التحق بالمدارس الأميرية فالتحق بمدرسة "خليل أغا" الابتدائية، وقد تفوق على زملائه في هذه المدرسة.. التحق بمدرسة المعلمين العليا عام ١٩٢٨م وتخرج

(١) مجلة فصول – نبيلة إبراهيم – صـ١٣١ – مرجع سابق.

منها عام ١٩٣١م، وكان التفوق حليفًا له طوال دراسته، وكان أول دفعته. وقد عمل بعد تخرجه مدرِّسًا للتاريخ بالقسم الثانوي في المعاهد الدينية التابعة للأزهر الشريف في أكتوبر سنة ١٩٣١، وبعد أن أمضى أربع سنوات في هذه المعاهد نُقل إلى وزارة المعارف، وعمل مدرسًا للتاريخ بمدرسة شبرا الثانوية عام ١٩٣٥م... وفي عام ١٩٤٩م عُين مديرًا لإدارة التعاون الثقافي الشرقي بوزارة المعارف، وظل في هذا المنصب إلى أن ندب في ١٩٥٢/٤/١٧م سكرتيرًا للتحرير لمجلة الأزهر الشريف. وفي عام ١٩٥٥م سافر في بعثة إلى لندن لإعداد المعلمين وتدريبهم، وبعد أن عاد عمل مفتشًا أول للمواد الاجتماعية بوزارة المعارف، وكلف من قِبل الوزارة بإعداد كتابين لتصحيح تاريخ مصر القومي بعد الثورة، وفي ١٩٦١/١٠/٢٩م عُين ناظرًا للمدرسة الإبراهيمية الثانوية. وعاش "محمود الخفيف" حياته عاكفًا على عمله في التعليم ودراساته في الأدب والتاريخ دون أن يتزوج، كان شاعرًا من أعظم شعراء عصره وأغزرهم إنتاجًا. وتوفي – إلى رحمه الله تعالى – بعد شهور ثلاثة قضاها في هذا المنصب، ولم يكن عمره قد تجاوز الخمسين بقليل.

الخفيف اديباً : -

تمتع الشاعر "محمود الخفيف" بملكة الشعر منذ نعومة أظافره، كما تمكن من التعمق في التاريخ بحكم دراسته ما استطاع بعبقريته أن يطوّع التاريخ فيكتبه شعرًا. يقول عن ذلك الدكتور "محمد رجب البيومي": " قد فتح الأستاذ للشعر العربي أبوابًا رحبة حين أكثر من الروائع التاريخية في إعداد الرسالة الممتازة، فسجل بطولات محمد والحسين وجعفر بن أبي طالب وصلاح الدين الأيوبي وأحد شهداء فلسطين في قصائد طويلة تبلغ إحداها ثلاثمائة بيت مطرد النسق متدفق الإلهام، ساطع الرواء ... كما أن أشعاره الوصفية في تصوير الطبيعة قد أخصبت الحقل الشعري، ولقحت أشجاره بلقاح إبداعي جديد، فالليل والبحر والفجر والحقل والحصاد والربيع والخريف... وما إليها من روائع المشاهد قد وجدت انطباعها الصادق في مرآة الشاعر، وظهرت على صفحات الرسالة تتخايل في معارض

زاهية من الرونق"[١].

لمحمود الخفيف الكثير من المؤلفات، فقد ألف في القصة والرواية مثلما أبدع في الشعر تمامًا، ومن كتبه ما تم طبعه ونشره، ومنها ما لم يطبع لكنه نُشر، فمن الكتب التي تم طبعها ونشرها "أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه"، وفيه تحدث عن سيرة عرابي، وكان ذلك من خلال مجلة الرسالة، وبالتحديد في (السنة السابعة – العدد ٢٩٩ – بتاريخ ١٩٣٩/٣/٢٧م) ولم يتجاوز عمره في هذا التاريخ ثلاثين عامًا، والمفارقة العجيبة التي تلفت نظرنا، هي جرأة هذا الشاب الذي اقتحم أعتى قوتين في مصر: "قوة القصر وسلطته، وقوة الإنجليز"، وهي القوة الغاشمة التي تحتل مصر، لكن شاعرنا يحمل قلب أسد، أو قل: قلب يحمل هموم وطن، فلا يخشى ما يتأتى إليه من وراء رؤية الحق وكلمته الصادحة، وبالفعل قد تعرض "الخفيف" بسبب كتابه عن عرابي لعقاب شديد من القصر الملكي وحكومات الأقلية الموالية للملك "فاروق"، يقول في ذلك الكاتب "رجاء النقاش":- "قد انزعج القصر الملكي في أيام فاروق انزعاجًا شديدًا من فصول الكتاب، أما السفارة البريطانية فقد غضبت وهددت بإغلاق مجلة الرسالة إذا استمرت في نشر فصول الكتاب، فقد كان الكتاب قائمًا على أدق المعلومات والوثائق التي تفضح الاحتلال الإنجليزي لمصر".[٢]

وقد تكون مثل هذه الأفعال والمضايقات سببًا مباشرًا في عدم نشر مؤلفات هذا الشاعر العظيم بكثرة، وعدم ذيع صيته بين شعراء وأدباء عصره، وكان لهذا الكتاب صدى كبير، فتحدث عنه صاحب الرسالة "أحمد حسن الزيات"[٣]، كما تحدث عنه أيضًا "عباس العقاد"[٤]، وهذا يُعدّ تقديرًا كبيرًا للكتاب من هؤلاء النقاد العظام.

أما الكتاب الثاني فكان "تولستوي"، وهو من هو، إنه قمة من قمم الأدب،

---

(١) مقال صفحة من كفاح أديب شاعر، د. محمد رجب البيومي، مجلة الأزهر – ديسمبر ١٩٦١م.
(٢) الأهرام – العدد ٤٢٣٨٤ – بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/٢٢م.
(٣) الرسالة – ع ٧٣٤ – بتاريخ ١٩٤٧/٧/٢٨م.
(٤) الرسالة س ١٦ – ع ٧٩٧٠ – بتاريخ ١٩٤٨/٦/٧م.

وله كتاب تحت عنوان "إبراهام لنكولن"، وقد ذيل الأستاذ "الخفيف" هذا الكتاب بعبارة هامة: "يا شباب الوادي، خذوا معاني العظمة في نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم".

أما كتبه التي نشرت في مجلة الرسالة، إلا أنها لم تطبع، فمنها: "ملتون" وهو القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال، وفي تناوله "لملتون" وهو الشاعر الحزين، ما يؤكد على مدى الهم والحزن عند شاعرنا بسبب أوضاع وطنه المتردية.

أما عن قصائده الشعرية، فهي كثيرة متنوعة منها:- "في الطريق إلى يثرب"، وعدد أبياتها مائة واثنين وثلاثين بيتًا، وفيها يصف هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام".[1] أيضًا هناك قصيدة "ذو الجناحين"، وفيها يتحدث عن معركة مؤتة، كما يتحدث إلى كل مؤمن تهون عليه روحه في سبيل الله، وقد نشرها في مجلة الرسالة.[2]

له أيضًا "شهيد كربلاء"، وهو مكونة من مائتين وسبعة وثمانين بيتًا.[3]

وله أيضًا "عقبة بن نافع" فاتح إفريقية وقاهر الروم والبربر، وله قصيدة "فارس وفارس" التي يصف من خلالها معركة صلاح الدين الأيوبي والصليبيين... وله الكثير والكثير من القصائد التي تملأ جنبات مجلة الرسالة، وذلك لمن أراد الاطلاع عليها.

كما تحدث عن كثير من أعلام الأدب، أمثال "بيرون"، و"ميرابو"، و"مازيني"، و"ماكولي"، و"تولستوي"، ولمن أراد المزيد عليه بمجلة الرسالة في أعدادها المختلفة ليتأكد من مكانة وقيمة هذا الشاعر.

لقد برز "الخفيف" في القصة، مثلما نبغ في الشعر، وإن كانت بدايته القصة القصيرة، إلا أنه لم يقف عند هذا الحد، بل بدأ كتابة القصة الطويلة أيضاً، إلا أن المنية عاجلته قبل أن يكملها.

---

(١) انظر: مجلة الرسالة، العدد ٣٤٨ – بتاريخ ١٩٤٠/٣/٤م.
(٢) انظر: مجلة الرسالة – س ١٤ – ع ٦٥٣ – بتاريخ ١٩٤٦/١/٧م.
(٣) انظر: مجلة الرسالة على عددين (٦٠١ – ٦٠٢) – بتاريخ ١/٨ ، ١٩٤٥/١/١٥م

يقول الدكتور "محمد رجب البيومي" في تقييمه لقصص الأستاذ "الخفيف":- "قصصاً مكتملة تحمل عناصر الأسلوب الروائي، وإن كاتباً ملهماً يجعل من التاريخ أدباً لقمين أن يجعل من القصة عجباً، واستشهد بقصته الرائعة "عفراء الغجرية"[١].

أما عن أهم القصص التي قام بتأليفها: ١ – دموع بريئة ٢ – عفراء الغجرية، وفي مجلة الرواية قصة "الفريق"، و"جليلة"، و"انتقام"، و"أخيرًا اختارت"، و"لا مفر".. وقام بترجمة قصص "البلبل والزهرة"، ومن الروايات المترجمة "الينورا"، و"قلب الرجل"، و"اليأس في الحب"، و"سوما"، و"بنية الصغيرة"... لقد ترجم الكثير مما لا يمكننا حصره في هذا المجال، ولمن أراد أن ينظر، أو يقرأ هذه الأشياء – أقصد مؤلفاته المختلفة – فله منا الإحالة إلى أماكنها"[٢].

لقد أبدع "الخفيف" في مجال الاجتماعيات، فكان ناقدًا اجتماعياً بارعاً، ينظر إلى سلبيات المجتمع فينقدها بهدف تقويمها؛ ليعتدل المعوج منها، إن من ينظر إلى كتابه "من وراء المنظار" يتحقق من صدق ما نقول، يقول الدكتور "محمد رجب البيومي":- "فقد وضع الخفيف منظاره على عينه وطفق يبصر حوله من أوضاع مريضة، فرأى من المفارقات والغرائب ما يدعو إلى التسجيل، وكما كان يمض نفسه أن يشهد مواقف الرياء والملق ومواكب الضرورة والادعاء، ومظاهر التجبر والتسلط فيشعر شعور الإنسان النبيل، وينعكس شعوره فيما يكتب".[٣].

---

(١) مجلة الأزهر – د. البيومي – سبتمبر ١٩٦١م – دورية سابقة .
(٢) مجلة الرسالة – س ١ ، ٨ ، ٢ ، ع ١٣ ، ٣٥١ ، ٤٥ – السنوات ١٩٣٣ ، ١٩٤٠ ، ١٩٣٤م.
= مجلة الرواية س١، ٣، ٤ – الأعداد ٨، ٤٨، ٥٤، ٢، ٤ – السنوات ١٩٣٧م، ١٩٣٩م، ١٩٥٢م، ١٩٥٣م.
= مجلة الرائد ، س٢ ، ٤ ، ٦ – الأعداد ٣ ، ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ٢ – السنوات ١٩٥٦م ، ١٩٥٧م، ١٩٥٩م، ١٩٦٠م.
= مجلة الرواية (القصص المترجمة) س ٢ ، ١ ، ٤ ، ٥ – الأعداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ – السنوات ١٩٣٤م، ١٩٣٧م، ١٩٥٢م، ١٩٥٣م.
(٣) ديوان محمود الخفيف – الهيئة العامة المصرية للكتاب – القاهرة – ٢٠٠٧م – ص ٣٦ .

الخفيف في ميزان النقد:-

من النقاد الذين نظروا في أعمال شاعرنا، الأستاذ الكبير "أحمد حسن الزيات"، والأستاذ "العقاد"، فلقد توجها بالنقد لكتاب "أحمد عرابي المفترى عليه"، كذلك نشر الأستاذ "زيتون" نقدًا للكتاب في مجلة الثقافة، فلقد تعرض "الخفيف" للنقد من أدباء عصره الأفذاذ، ولم يكن مستسلماً لما يقولون، إنما ردّ على النقاد والأدباء في مقالات تؤكد مدى تمكنه وثقته بنفسه.

ما أودّ أن أصل إليه أن هذا يُعَدُّ دليلاً على مكانة الرجل الأدبية في عصره، فلو لم يكن ذا مكانة عالية في هذا المجال لنكره هؤلاء الأدباء العظام، وما ذكروا حتى اسمه على لسانهم، لكنه أثار انتباههم بكلماته التي تدل على أن هناك فارساً من فرسان الكلمة لا يخشى إلا الله، في سبيل دفاعه عن وطنه، وهموم وأحزان أهله وعشيرته.

ولقد تناول "الخفيف" بالنقد كتب كبار الكتّاب في عصره، وقد بدأ مبكرًا في هذا الميدان "النقد الأدبي" عام ١٩٣٣م، وكان عمره لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره،

من هذه الكتب:-

١ – القصة المصرية للأستاذ جيب، جبران خليل جبران للأستاذ "ميخائيل نعيمة"، و"الإسلام والحضارة العربية" "محمد كرد علي"، "الفلسفة القرآنية" للأستاذ "عباس محمود العقاد"، و"جنة العبيط" للدكتور "زكي نجيب محمود"... وكثير وكثير من الكتب.(١) والمؤلفات التي تناولها بالنقد، مع أنها لكبار الكتاب الذين نالوا شهرة تفوق شهرته مئات المرات، إلا أنه لا يقل عنهم شأناً في شيء من وجهة نظري على الأقل.

كانت هذه الرحلة البسيطة مع الشاعر والأديب العملاق "محمود الخفيف"، والتي تحدثنا فيها قليلاً عن هامة عظيمة أراها لا تقل شأنًا عن معاصريها أمثال

(١) من أراد الرجوع إلى هذه الكتب التي نقد فيها الكتاب والأدباء الذين ألفوها، يرجع إلى مجلة الرسالة، وكذلك مجلة الرواية، ومجلة الرائد، ولقد أشرنا إلى الأعداد وسنواتها وتواريخها في صفحات سابق، وهامش سابق.

"الزيات"، و"العقاد" وغيرهما، ولعلنا نكون قد أعطينا فكرة موجزة عن هذه الشخصية التي أرى أن من العار على الأدباء، والباحثين خاصة أن يتركوها دون تناول، مما يُعدّ نقطة سوداء في جبينهم، فإن كان الظلم قد وقع عليه من فئة عدوة له، فلا أقل على أهله وأبناء جلدته أن ينصفوه، ويزيلوا غبار العار عن أعماله الأدبية.

والآن، وفي عجالة أعرض لأقوال بعض الكتاب والأكاديميين المنصفين للرجل، لنرى مدى حزنهم على عدم الاهتمام به.

يأتي على رأس هؤلاء، الأستاذ الدكتور "محمد رجب البيومي"، والذي يقول في مقاله الذي تحت عنوان "شمس لا تغيب"، والذي نشر في (مجلة الأزهر – ديسمبر ١٩٦١م)، يصف فيه رحلة كفاح هذا الرجل، يقول: –

"كان الأستاذ الخفيف صاحب رسالة في دنيا الأدب والفكر، فلم يكن ليكتب كلمة واحدة لا تهدف إلى مثل رائع أو تكشف حقيقة مطموسة، وإذا أردت سمة لأدبه فتلك هي البطولة...".

وفي عام ١٩٧١م، قامت دار الهلال بإعادة طباعة كتاب "أحمد عرابي"، فكتب على الغلاف: "ومحمود الخفيف شاعر وناقد ومؤرخ من كبار الأدباء والكتاب الذين ظهروا في بلادنا، وقد اتجهت السلطات الحاكمة على تشريده، وكان معروفاً لدى الجميع أنه من المغضوب عليهم من السلطات الحاكمة.. ولم يأخذ حقه الأدبي الكامل بسبب الحرب التي واجهته في حياته". وهناك الكثير من المقالات حتى في الأعداد الحديثة من جرائد مثل الجمهورية، الأهرام، ففيها مقالات للأستاذ "سامح كريم"، والأستاذ "شكري القاضي"، والأستاذ "رجاء النقاش"، وكلها تتحدث عن مكانة هذا الرجل، ومدى الظلم الذي تعرض له بسبب دفاعه عن بلده، وهجومه على السلطات، ومدحه لبطولات أبناء بلده، من هنا أقول مرة أخرى، أما آن الأوان لنرد لهذا الرجل حقه؟ فإن تعرض للظلم من قِبل أعدائه، فمن العار أن يتعرض للظلم من أبناء وطنه الكتاب والأدباء والباحثين، فكما قال هو عن عرابي: "أما آن للتاريخ أن ينصف هذا الزعيم الفلاح"، أقول بدوري متفقًا مع الأستاذ "رجاء النقاش": أما آن للدارسين والباحثين دراسة إنتاجه الفكري

والأدبي ونشره.[١]

المبحث الأول :-المفارقة لغة و إصطلاحا:

أولا :- **لغة** ذا نظرنا في معاجم اللغة لمعرفة مادة (فرق) نجدها، "الفرق: خلاف الجمع (...) يُقال: فارق الشيء مفارقة أي : باينه، (...)، وتفارق القوم: فارق بعضهم بعضاً (...)، والفِرق: القِسم".[٢]

وفي القاموس المحيط: "فَرَقَ بينهما فَرْقًا وفُرْقانًا بالضم: فَصَل. و(فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)[٣]، أي: يُقضى، (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ)[٤] أي: فَصَّلْناه وأحْكمْناه. (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْرَ)[٥]: فلقناه. (وَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا)[٦]: الملائكة تنزل بالفَرْق بين الحق والباطل. والفَرْقُ: الطريق في شعر الرأس، (...)، والفاروق: "عمر بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه"؛ لأنه فَرَقَ بين الحق والباطل، (...) فَفَرقَ بين الإيمان والكفر. والتِّرياق الفاروق: أحمدُ التَّرابيق، وأجَلُّ المُركَّبات؛ لأنه يفرُقُ بين المرض والصحة. والمَفْرِق من الطريق: الموضع الذي يتشعب منه طريق آخر، ج: مَفَارِقُ. ووقَّفْته على مفارق الحديث: وجُوهه...".[٧]

أما في "المعجم الوسيط" فنجد: "فَرَقَ بين الشيئين، فَرْقًا، وفرقانًا: فصل وميَّز أحدهما عن الآخر، وبين الخصوم: حكم وفصل".[٨]

وفي "مختار الصحاح" نرى ما نصه: "فَرَقَ بين الشيئين من باب نَصَرَ،

---

(١) كل ما ذكر في التمهيد ، يراجع فيه الديوان من الصفحات صـ ٦ – ٤٩ .
(٢) لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ) – بيروت – دار صادر – ط٢، د.ت – مادة (فرق).
(٣) الآية " ٤ " من سورة الدخان .
(٤) من الآية " ١٠٦ " من سورة الإسراء .
(٥) من الآية " ٥٠ " من سورة البقرة .
(٦) الآية " ٤ " من سورة المرسلات .
(٧) القاموس المحيط – الفيروز أبادي : القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، مادة (فرق).
(٨) المعجم الوسيط، ، إخراج الدكتور/ إبراهيم أنيس وآخرين، وبإشراف حسن على عطية، ومحمد شوقي أمين – ط٢ ، جـ ٢ صـ٦٨٥.

وفرقانًا أيضًا فَرَقَ الشيء تفريقًا.. وأخذ حقه منه بالتفاريق".(١)

وفي "الصحاح" فجاء فرقت بين الشيئين فرقا وفرقا، الفرقان القرآن، وكل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان، فلهذا قال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ"، والفرق أيضًا القرآن، والفرقة الاسم من فارقته مفارقة وفراقًا، والمفرق والمفرق وسط الرأس، وهو الذي يفرق فيه الشعر.(٢)

أما "أساس البلاغة" للزمخشري في مادة "فرق": فرق بذا المشيب في مفرقه ومفرقه وفرقة، وفرق في الطريق فروقًا وانفرق انفراقًا إذا اتجه لك طريقان فاستبان ما يجب سلوكه منهما.(٣)

أما "المعجم الوجيز" وهو من المعاجم الحديثة، فقد ورد فيه: "فارقه مفارقة وفراقًا باعده فرق بين القوم أحدث بينهم فرقة، فرق القاضي بين الزوجين حكم بالفرقة بينهما".(٤)

من خلال ما رأينا في المعاجم العربية، يتضح لنا أن مادة (فرق) تسير نحو دلالة واحدة، وهي البعد والبين، والفصل بين الأمور المتناقضة، من مثل الحق والباطل، والليل والنهار، والصبح والمساء..الخ.

المفارقة اصطلاحًا :-

المفارقة أسلوب أدبي، إلا أنه مصطلح غامض؛ لأنه يضرب بجذوره في التاريخ الممتد والطويل، كما أكدنا سابقًا، بمعنى أنه من الصعوبة بمكان أن يوضع له تعريف واحد ومحدد يمثل كل الآراء التي قيلت فيه.

يقول "ميويك" حول هذا:- "إن المفارقة ليست بالظاهرة البسيطة؛ لهذا

(١) مختار الصحاح للإمام الرازي (ت:٦٦٦هـ)، دار الرسالة – الكويت – ١٩٨٣م (فرَقَ).
(٢) الصحاح ، الجوهري إسماعيل بن حماد، تقديم: العلامة الشيخ/ عبد الله العلايلي، بيروت – دار الحضارة العربية – ط١، ١٩٧٤م، صـ٢٣٩، مادة (فرق).
(٣) أساس البلاغة ، الزمخشري، محمود بن عمر، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – ط ١، ١٩٨٨م، ج٢ – صـ٣٩٣.
(٤) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية – بيروت – (د.ط)، ١٩٩٤م – صـ٤٦٩.

هناك عقبة رئيسية في تعريفها"[١]، فبسبب هذا لم يتفق الأدباء والنقاد على مفهوم واحد لهذا المصطلح كما سيتضح لنا من خلال العرض التالي.

ترى الدكتورة "نبيلة إبراهيم" أن "المفارقة بادئ ذي بدء تعبير كتابي يرتكز أساساً على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة النغمية أو التشكيلية، وهي لا تنبع من تأملات راسخة ومستقرة داخل الذات، فتكون بذلك ذات طابع غنائي أو عاطفي، ولكنها تصدر أساساً عن ذهن متوقد، ووعي شديد للذات بما حولها".[٢]

ويرى "ناصر شبانة" أنه: "يمكن القول بادئاً إن المفارقة انحراف لغوي يؤدي بالبنية أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعددة الدلالات، وهي بهذا المعنى تمنح القارئ صلاحيات أوسع".[٣]

أما "محمد العبد" فيرى أن "المفارقة تعبير انتقادي يعرض ملمحًا سلبيًا فيه مغالاة أو مبالغة، فيهون من شأنه. وربما جعلت المفارقة – في الوقت نفسه – أداة تلطيفية".[٤] عاد "دي سي ميويك" إلينا بتعريف قصد منه تبسيط المفهوم، فقال: "إن فن المفارقة هو فن قول الشيء دون قوله حقيقة".[٥]

أما "يمنى العيد" فتؤكد على أن هناك رابط ما يربط بين المفارقة الأدبية والتأويل، تقول: "يرتكز التأويل على مفهوم المفارقة بين الكلمات والأشياء، أو بين اللغة، باعتبارها تعبير يتوسل الملفوظات الصوتية، وبين الواقع بما يعنيه من وجود مادي محسوس وتجربة معيشة.

---

(١) المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٨م، المجلد ٤، صـ١٩.

(٢) فن القصص في النظرية والتطبيق، نبيلة إبراهيم ، مصر – مكتبة غريب – (د.ط)، (د.ت). صـ١٩٧،

(٣) المفارقة في الشعر العربي الحديث، ناصر شبانة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٢م – ص٤٦.

(٤) المفارقة القرآنية – دراسة في بنية الدلالة – الدكتور/ محمد العبد – دار الفكر العربي – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ/١٩٩٤م – مطبعة الأمانة، ص١٧.

(٥) المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، ص٥، مرجع سابق.

وعليه، فإن محتوى العمل الأدبي هو مجرد تصور، ولا يمكن للحقيقة التي يبنى العمل الأدبي معناها، إلا أن تكون نسبية، لذا فالمعنى من هذه الوجهة مفتوح على التعدد ربما اللامحدود، أي على اللامعنى".(١)

وهناك من يرى أن المفارقة الأدبية تقوم على التفاعل الجدلي، يقول:- بما أن المفارقة "أدب فهي تنطوي على تفاعل جدلي دائم بين الموضوعية والذاتية، بين مظهر الحياة وحقيقة الفن، وبين وجود المؤلف في كل جزء من عمله عنصرًا مبدعًا منعشًا وبين ارتفاعه فوق عمله بوصفه المتقدم الموضوعي".(٢)

وترى "سيزا قاسم" في تعريفات متعددة، أن المفارقة عبارة عن قول نقدي ساخر، كما أنها استراتيجية الإحباط وخيبة الأمل، تقول:- المفارقة "استراتيجية قول نقدي ساخر، وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني، ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية. والمفارقة هي طريقة لخداع الرقابة، حيث إنها شكل من الأشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة".(٣)

وهي أيضًا "استراتيجية الإحباط واللامبالاة وخيبة الأمل، ولكنها – في الوقت نفسه – تنطوي على جانب إيجابي، فقد ننظر إليها على أنها سلاح هجومي فعال. وهذا السلاح هو الضحك، لكنه ليس الضحك الذي يتولد عن الكوميديا، بل الضحك الذي يتولد عن التوتر الحاد، والضغط الذي لا بدّ أن ينفجر".(٤)

من خلال التعريفين السابقين "لسيزا قاسم"، يتضح لنا أن المفارقة تعود في أصل مصطلحها إلى البلاغة العربية القديمة لما فيها من تورية، ولأنها تشبه الاستعارة إلى حد كبير.

وتراها "سيزا قاسم" – أيضًا – "لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي

---

(١) فن الرواية العربية، يمنى العيد ، القاهرة – دار الأدب، (د.ط) ، (د.ت) صـ٤١.
(٢) المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، صـ١٠٩– مرجع سابق .
(٣) المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، فصول، مجلة النقد الأدبي – يناير/ فبراير/ مارس ١٩٨٢م، العدد الثاني – المجلد الثاني – صـ١٤٣.
(٤) سيزا قاسم، صـ١٤٤ مرجع سابق.

وأكثرها تعقيدًا، تستخدم لقتل العاطفة المفرطة، وللقضاء على المظهر الزائف، ولفضح التضخيم الفكري".(١)

من خلال ما سبق وضح لنا أن المفارقة، وهي فن أدبي قبل كل شيء، لا يمكن أن نستقر لها على تعريف محدد، نظرًا لكثرة التعريفات التي تناولتها، مما جعل "خالد سليمان"، يرى إطلاق هذا المصطلح على أية حادثة، يقول:- "يمكن أن نطلق مصطلح المفارقة على أية حادثة ابتداءً من قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة، إذ أكلا تفاحة جميلة المظهر، قبيحة التبعات والنتائج، فقصة قابيل وهابيل التي تتجلى فيها مفارقة الأحداث بوضوح مرورًا بطوفان نوح، وليس انتهاءً بما نشهده الآن من أحداث مفارقة".(٢)

وعلى هذا تكون المفارقة قد تجاوزت التعريف القديم إلى أشكال أخرى متعددة، حيث كانت "- قول شيء والإيحاء بنقيضه – قد تجاوزته مفهومات أخرى، فالمفارقة قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيرًا واحدًا، بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغيِّرةِّ.(٣)

من خلال ما سبق تأكد لنا صعوبة الحصول على تعريف واحد لمفهوم المفارقة؛ نظرًا لأنها قديمة قدم الإنسان؛ ولذا فهي تختلف في مفاهيمها من عصر إلى عصر، ومن مكان إلى مكان آخر.

---

(١) المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول، ١٩٨٢م، ع ٢- مج ٢ صـ١٤٣ : ١٤٤.

(٢) المفارقة والأدب – دراسات في النظرية والتطبيق – خالد سليمان – عمان – دار الشروق للنشر والتوزيع – (د.ط)، ١٩٩١م، صـ٣٥.

(٣) موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة – مرجع سابق صـ١٦١.

المبحث الثاني : الرحلة التاريخية لمفهوم المفارقة

المفارقة عند العرب (في البلاغة العربية القديمة):-

ذكرنا سابقًا مدى الصعوبة نحو تحديد مفهوم للمفارقة، وقلنا:- إن السبب في ذلك يعود إلى العمر الطويل للمصطلح وليس للمفهوم، فهناك من يُعدّ "الجاحظ صانع المفارقة الأول في التراث العربي القديم، وإن لم يُدرس من هذه الزاوية، بل دُرس من زاوية فنه الساخر الذي شاء أن يرصد من خلاله ظواهر اجتماعية سلبية"(١).

إلا أنني أميل إلى الرأي الذي يؤكد على أن المفارقة تعود إلى ما قبل وجود الإنسان.

أما من ناحية المصطلح فيذكر لنا التاريخ أن "سقراط هو صانع المفارقة الأول الذي يذكره لنا التاريخ".(٢)

من هنا سنتناول ظهور هذا الفن عند العرب من عدمه، فإذا نظرنا إلى المصادر العربية القديمة، بل إلى التراث العربي البلاغي والنقدي، فلن تشاهد أعيننا هذا المصطلح بمفهومه الجديد (المفارقة)، تقول نبيلة إبراهيم:- "إنه فن بلاغي لم يعرفه بلغاء العرب على هذا النحو من التحديد الحديث له".(٣)

ويقول محمد العبد:- "ولم أجد فيما وقع بين يدي من مصادر عربية قديمة: لغوية وبلاغية من ذكر مصطلح المفارقة".(٤)

ولفظة (المفارقة) لم ترد في القرآن الكريم، ولكن ما ورد في آيات القرآن الكريم، إنما هو " مشتقات الجذر "فَرَقَ" وردت اثنتين وسبعين مرة في القرآن

---

(١) المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، ع ٣ ، مج ٤ ، ٧ ، صـ ١٣٧ .

(٢) فن القص في النظرية والتطبيق، نبيلة إبراهيم – القاهرة – مكتبة غريب – (د.ت)، صـ١٩٦.

(٣) المرجع السابق، صـ ٢١٨ .

(٤) المفارقة القرآنية، قراءة في بنية الدلالة – محمد العبد – القاهرة – مكتبة الآداب ط: ٢، ٢٠٠٦م، صـ٢٠.

الكريم، كلها جاءت في عكس معنى "الجمع".[١]

عود على بدء، إن ما وجد في الدراسات العربية القديمة هو إشارة إلى هذا المصطلح (المفارقة)، نجد هذه الإشارة عند "علي بن محمد الجرجاني" (ت:٨١٦هـ)، يقول:- "هي الجواهر المجردة عن المادة القائمة بنفسها".[٢]

من خلال هذا التعريق يتضح لنا أن المفارقة تعطي نتيجة مخالفة لما هي عليه في الأصل؛ لذا وجدنا من يقول بأن المفارقة تعتمد على "وجود الضد، وتُقِرُّ – في الوقت نفسه – بضرورة المعنى الحرفي، أو الادّعاء بالصدق ضمن الإيماءة المفارقة نفسها".[٣]

لقد أورد الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) قولاً يؤكد لنا من خلاله وجود المفارقة بلاغيًا، يقول:- "لو أن رجلين خطبا، أو تحدَّثا، أو احتجَّا أو وصفا، وكان أحدهما جميلاً جليلاً بهيًّا، ولباسًا نبيلاً، وذا حسب شريفًا، وكان الآخر قليلاً قمينًا، وباذ الهيئة ذميمًا، وخامل الذِّكر مجهولاً، ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة، وفي وزن واحد من الصواب، لتصدّع عنهما الجمع وعامتهم تقضي للقليل الذميم على النبيل الجسيم، وللباذِّ الهيئة، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه به، ولصار التعجب منه سببًا للتعجب به، ولصار الإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه؛ لأن النفوس كانت له أحقر، ومن بيانه أيأس، ومن جسده أبعد، فإذا هجموا منه على ما لم يكونوا يحتسبونه، وظهر منه خلاف ما قدروه، تضاعف حُسن كلامه في صدورهم، وكَبُر في عيونهم؛ لأن الشيء من غير معدنه أغرب، وكلّما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلّما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلّما كان

(١) المفارقة في الشعر العربي الحديث – ناصر شبانة – بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م، صـ٤٨.

(٢) التعريفات – علي بن محمد الجرجاني – بيروت – مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٨٥م، صـ٢٤٠.

(٣) المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، وليم راي، ترجمة يوسف عزيز – بغداد – دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٨٧م، صـ٢١٠.

أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع".(١)

ففي هذا الكلام للجاحظ، مع أنه يتحدث عن البلاغة وتعريفها، إلا أنه كان قريبًا جدًّا من دلالة المفارقة.

وعندما تحدَّث "ابن قتيبة" عن ظاهرة التطيّر، والتي كان العرب يتفاءلون ويتشائمون من خلالها، نجد في كلامه قربًا من دلالة ومفهوم المفارقة.

وهذا الكلام نقله عن "الأصمعي" :"سألت ابن عوف عن الفأل فقال:- هو أن تكون مريضًا فتسمع: يا سالم، أو باغيًا* فتسمع يا واجد".(٢)

أما نصوص "ابن المعتز" التي وردت إلينا، فإنها مليئة بالألوان البيانية التي تتماس مع مفهوم ودلالة المفارقة، وأقرب هذه الألوان الاستعارة، ففي النص الذي ذكره لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه – والذي جاء فيه: "وقال أبو بكر الصدّيق – ﷺ– وذكر الملوك إن إذا ملك أحدهم زهده الله في ماله، ورغَّبهُ في مال غيره، وأشرَبَ قلبه الإشفاق، وهو يحسد على القليل، ويتسخط الكثير جذلُ الظاهر، حزين الباطن، فإذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله [حاسبه الله عز وجل] فأشدّ حسابه، وأقلّ غَفْرَه".(٣)

فالتضاد واضح جليّ في هذا الحديث، وهذا ما يتفق مع بدايات تعريف المفارقة – التعريف القديم – وهو عبارة عن التضاد في المدلول بين الألفاظ أو الكلمات أو العبارات، فها هو الملك زاهد في ماله، راغب في مال غيره، يحسد على القليل، ويتسخط الكثير، جذل الظاهر، حزين الباطن...الخ، وهو تناقض في المشاعر، وهذا يؤكد القول بأن "المفارقة شكل من النقيضة".(٤)

---

(١) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت:٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون – القاهرة – مطبعة المدني، ط: ٥ – ١٩٨٥م – جـ١، صـ٨٩.

(*) باغياً:- طالباً .

(٢) عيون الأخبار، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت:٢٧٦هـ)، المؤسسة المصرية للطباعة، ١٩٦٣م، صـ١١٩، ١٢٠.

(٣) كتاب البديع، عبد الله بن المعتز (ت:٢٩٦هـ)، اعتنى بنشره والتعليق عليه اغناطيوس كراتشقوفسكي، دمشق، دار الحكمة، صـ٤.

(٤) المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق، خالد سليمان، صـ١٧، مرجع سابق.

وهناك مصطلحات بلاغية اقتربت من دلالات المفارقة، منها وأشهرها "التعريض"، وهذا ما يؤكده "ابن رشيق" (ت:٤٥٦هـ)، يقول: "ومن أفضل التعريض مما يجل عن جميع الكلام قول الله عز وجل: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ)[١] أي: الذي كان يقال له هذا، أو يقوله وهو أبو جهل؛ لأنه قال: ما بين جبليها – يعني مكة – أعز مني ولا أكرم، وقيل: بل ذلك على معنى الاستهزاء به".[٢]

وفي باب التشكيك نرى قول "زهير بن أبي سلمى":-

وما أدري وسوف إخال أدري ∴ أقومٌ آل حصنٍ أم نساء

فإن تكن النساء مخبآت ∴ فحق لكل محصنة هداءُ [٣]

ولقد أكّد النقّاد ،على أن هذا المقال أقرب ما يكون إلى المفارقة السقراطية.[٤]

ويذكر لنا "عبد القاهر الجرجاني" مثالاً قصد منه الحديث عن التشبيه المعقود من خلال الصفات المتضادة، يقول: "ومثال ما يجيء فيه التشبيه معقودًا على أمرين إلا أنهما لا يتشابكان هذا التشابك قولهم (هو يصفو ويكدر، ويمر ويحلو، ويشج ويأسو، ويسرج ويلجم)؛ لأنك وإن كنت أردت أن تجمع له الصفتين فليست إحداهما ممتزجة بالأخرى".[٥]

فالأمر عنده كما قلنا لا يعدو كونه رصدًا للصفات المتضادة، بغرض إحكام تشبيهاته، إلا أنه كانت له "نظرة في الحياة تجد الخبرة عرضة لتفسيرات متنوعة،

---

(١) الآية " ٤٩ " سورة الدخان .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، على الحسن بن رشيق القيرواني (٣٩٠هـ–٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مصر – مكتبة السعادة، ط: ٣ –١٩٦٣م، جـ١، صـ٣٠٤.

(٣) شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، صنعة الأعلم الشنتمري، مطبعة حليا، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م، صـ١٣٢.

(٤) راجع: المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، صـ٢٧.

(٥) أسرار البلاغة في علم البيان، ، عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ)، علق على حواشيه: محمد رشيد رضا – القاهرة – دار المطبوعات العربية للنشر والتوزيع – (د.ت). صـ٨٢

ليست فيها واحدة صحيحة دون غيرها، وذلك لأن التنافرات جزء من طبيعة الوجود".[١]

ويقترب "ابن الأثير" من مفهوم المفارقة، وذلك عندما يتحدث عن تعريف التعريض، يقول:هو "اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي أو المجازي".[٢]

من خلال العرض لبعض الآراء لعلمائنا القدامى من بلاغيين وأدباء، يظهر لي أن المفارقة عندهم، والتي وردت في مواضع متعددة، منها: التعريض – التشكيك – الاستعارة...الخ، وهم لا يقصدون هذا المفهوم بالطبع ؛لأنه لم يكن معروفًا لديهم بهذا المصطلح الجديد، إنما أتت استعمالاتهم لهذه الأغراض البلاغية من باب التأنق الأسلوبي، والإيصال إلى أهدافهم من أقرب طريق، وهذا ما توصلوا إليه حديثًا أيضاً، حيث يذكر "ماكسي بيريوم" أن غاية المفارقة "إنتاج أبلغ أثر بأقل الوسائل إسرافًا".[٣]

وعند حديثهم عن تجاهل العارف كما ذكر أبو الأصبع المصري (ت:٦٥٤هـ)،ما يؤكد أن البلاغيين أتوا في دراساتهم بما هو قريب أشد القرب من هذا المفهوم –"المفارقة"–، بل ويرى البعض أن المثال الذي سنذكره الآن قريب من المفارقة السقراطية، يقول في تعارف تجاهل العارف: "وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه به ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدل على شدة التدلّه في الحب، ولقصد التعجب، أو التقرير، أو التوبيخ".[٤]

أؤكد مرة أخرى على أن المصطلحات البلاغية القديمة مليئة بالمصطلحات

---

(١) المفارقة والأدب – دراسات في النظرية والتطبيق، خالد سليمان، صـ١٧، مرجع سابق.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ضياء الدين أبوالفتح نصرالله (ت:٦٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور/ بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م، صـ٧٥.

(٣) موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، مج٤، بيروت– المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط١، ١٩٩٣م، صـ٦٦.

(٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري (ت:٦٥٤هـ)، تحقيق: حنفي محمد – القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ١٣٨٣هـ، صـ١٣٥.

التي أنابت عن لفظ المفارقة كتسمية، كما أنها حملت مفهومها، ومضمونها، وتعدد دلالاتها، ومن هذه المصطلحات كما ذكرنا: (التعريض – تجاهل العارف – التشكيك – المدح بما يشبه الذم – الذم بما يشبه المدح...الخ)، وسنبين ذلك عند الدراسة الفنية.

الخلاصة

مصطلح المفارقة لم يرد بهذا اللفظ في النقد العربي أو الأدبي قبل العصر الحديث، ونود أن نشير إلى أن خلو نقدنا العربي القديم من هذا المصطلح لا يعد عيبًا في الأدب، ولا في النقاد؛ لأن هناك من المصطلحات الحديثة الكثير مما لا يذكر بلفظه مثل: (التناص – التركيبة – الانزياح...الخ) إلا أن روح ،بل أصل هذه المصطلحات هو الأدب العربي والبلاغي القديم، فالتناص هو: السرقات الشعرية، والتركيبية هي نظرية النظم عند عبد القاهر، فلا يمكن أن نقلل من قيمة أدبنا وعظمته.

المفارقة والفلسفة:-

ظهر مفهوم المفارقة لدى الفيلسوف هيرقليطس، الذي عاش قبل الميلاد بنحو خمسة قرون، وبلغ لديه حد التناقض، فهو يرى أنه يكمن في توقع ما لا يتوقع".[١]

والمفارقة مرتبط ميلادها بالفلسفة، كما تؤكد على ذلك "تبيلة إبراهيم"، تقول: "إن الحقبة التي شهدت أعظم الشخصيات الفلسفية، وبالتحديد أفلاطون وأرسطو، هي الحقبة التي شهدت ميلاد المفارقة، وأن سقراط هو صانع المفارقة الأول الذي يذكره لنا التاريخ".[٢]

وكما يروي لنا التاريخ فإن "سقراط صانع المفارقة الأول، فقد كانت المهمة التي أخذها على عاتقه هي أن يشد الناس إليه من كل صنف، ومن كل صوب وحدب، من العامل إلى المفكر، ومن الصغير إلى الكبير، ويأخذ في محاورة

(١) هيراقليطس فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي، تأليف: د. علي سامي النشار، د.محمد علي، د. عبده الراجحي – مصر – دار المعارف، ط:١ –١٩٦٩م، صـ١٦.
(٢) فن القص في النظرية والتطبيق – نبيلة إبراهيم ، صـ١٩٦، مرجع سابق.

كل منهم، حتى يصل إلى النقطة التي يجعل الواحد منهم يفقد فيها الثقة كلية فيما يتحاور فيه معه، وعندئذ يترك الشخص المكان خاوي الوفاض، بعد أن يدرك أنه لم يعرف شيئًا. ولم يكن سقراط يفعل هذا بدافع التعالي على الناس، فقد كان على العكس، يبدي أنه شريكهم في الجهل بحقائق الأشياء، ولكن لأن الوصول إلى قمة التحرر من قيود المعارف والمدركات المتواضع عليها، كان يمثل لحظة السعادة المطلقة عند سقراط، فقد كان يرغب على الدوام في أن يشاركه الناس هذا الإحساس، وكأنه كان بذلك يتعمد استعادة هذه اللحظة مع كل شخص، عندما يصل به إلى المرحلة التي تهتز فيها الثوابت القديمة أمامه. ولهذا، فإن حكمة سقراط الشهيرة: "اعرف نفسك!"، التي تسربت في فكر العالم بأسره وعبر العصور المتتالية، لم تكن تعني قط اعرف محتوى نفسك ومطالبها، بل كانت تعني: اعرف نفسك بامتلائها الداخلي وثرائها اللامحدود، وتعمقها بعيدًا عن الآخرين، وعندئذ ستصل لا محالة إلى جوف الفراغ المظلم داخل الذات، وهو الفراغ الذي يجعل الحقائق تهتز وتصبح موضوعًا للمفارقات. وقد وردت كلمة (Eironeia) في جمهورية أفلاطون، وهي مصطلح (Irony) نفسه في اللغة الإنجليزية، ويعني المفارقة. وقد ورد المصطلح في جمهورية أفلاطون على لسان أحد الأشخاص الذين وقعوا فريسة محاورات سقراط، وهي طريقة معينة في المحاورة لاستدراج شخص ما حتى يصل إلى الاعتراف بجهله. وكانت الكلمة نفسها تعني – عند أرسطو – الاستخدام المراوغ للغة. وهي عنده شكل من أشكال البلاغة، ويندرج تحتها المدح في صيغة الذم، والذم في صيغة المدح".(١)

وضح لنا مما سبق أن "مصطلح المفارقة نشأ في إطار فلسفي، والواقع أنه لم يفارق هذا الإطار على مر العصور حتى يومنا هذا. لقد كانت المفارقة تقحم نفسها بالضرورة في أبحاث الفلاسفة المحدثين، ابتداء من "كانت"... ولا بد أن كل فيلسوف إنما كان يصوغ فلسفته في الظروف السياسية والفكرية والاقتصادية التي كان يعيشها. وقد نبعت فلسفة "كانت" من وقوف المفكر المثالي عاجزًا أمام

(١) المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، المجلد ٧، العدد ٣ ، ٤ ، صـ١٣١.

عالم التجربة الفعلية، فهو ذو سلطان مطلق في العالم المعقول، أما في العالم الفعلي، فهو ضائع، وعاجز عن التدخل أو التأثير في مجرى الحوادث... وقد تحدث "كانت" عما سماه "التركيب الأعلى"، ويقصد به الوعي الذاتي الترانسندنتالي.. والوعي الترانسندنتالي عند "كانت" هو الوعي بوجود "أنا أفكر" مقترنة بكل تجربة .. وعن طريق هذا الوعي يعرف الأنا المفكر ذاته بوصفه متصلاً وحاضرًا، فعالاً، على مدى سلسلة تجاربه... كل ما يهمنا هو أن نشير إلى أن نظرية "كانت" هي التي فتحت المجال في الفلسفة الحديثة، بل في النقد الحديث، للبحث عن جذور المفارقة، الأمر الذي ترتب عليه شيوع هذا المصطلح في النقد والأدب بصفة عامة".(١)

المفارقة عند الفلاسفة المحدثين: -

من أشهر الفلاسفة في النقد الحديث "شليجل"، و"كيركجورد"، "وهما الفيلسوفان اللذان أرسيا مفهوم الفارقة في البلاغة والنقد الحديث .. فالمفارقة عند "شليجل" (١٧٧٢ – ١٨٢٩) مرتبطة بالمفهوم الكانتي لها من حيث إنها وليدة النشاط الحر. يقول: إننا لن نصل إلى المفارقة إلا بعد أن تكون الأحداث والناس، بل الحياة بأسرها مدركة، وقابلة للتمثل بوصفها لعبة. فالحياة حشد من المتناقضات والمتعارضات التي لا يمكن الإمساك بها في إطار موحد من الإدراك، اللهم إلا بعد أن نصل إلى حالة من إدراك أن المفارقة هي جوهر الحياة. والمفارقة في هذه الحالة هي الصراع بين النسبي والكلي، والوعي بتزامن المحال والضروري، واللامحدود المجهول والمحدود المعلوم. وليست المفارقة مجرد تسجيل لهذه الأحوال، بل هي الوعي الشديد بالتناقض داخل الذات بقدر ما هي الوعي الشديد بالتناقض خارجها. ولهذا فإن المفارقة لا يمكن أن تتم لكاتب متحيز، بل لا بدّ أن يجاوز الإنسان تحيزه الذاتي حتى يستطيع أن يناور فيلعب على الشيء ونقيضه، والشيء وما يعارضه بمهارة فائقة. ولا يمكن للفنان بصفة عامة، وللكاتب بصفة خاصة، أن يحقق هذا إلا إذا علا فوق نفسه، وجاوز الذات

(١) المفارقة، نبيلة إبراهيم، مرجع سابق، صـ١٣٤.

المجربة إلى الذات الترانسندنتالية، حيث يتحرر من كل قيد إلا قيد اللغة. فالمفارقة عند شليجيل هي الموضوعية".(١)

أما الفيلسوف الآخر، وهو "زولجر" وكان معاصرًا لشليجل، فزاد على تعريف شليجل أن سمى المفارقة بالمفارقة الرومانسية، يقول: "إن المفارقة لا ينبغي أن تختلط بالسخرية، كما لا ينبغي أن تفهم على أنها الذاتية غير المسئولة؛ إنها تمثل قمة الخلق الإنساني؛ إذ فيها يتحد الخاص والعام، والنسبي والكلي، وفيها تجتمع الأضداد والمتناقضات، وتتماسك لتتصارع، ثم لا تلبث أن تتصالح في هدوء؛ إذ لا يملك أحد الأطراف المنطق المشروع على الدوام، الذي يجعله يتغلب على الطرف الآخر. والواقع أن المفارقة ، كما يقول ، تقع في صميم صنعة الفنان ومسئوليته؛ فالمطلوب من الفنان أن يكون ناقدًا وخلاقاً، وذاتياً وموضوعياً، وعاطفياً متحمساً، وعقلانيًّاً واقعيًّا، وأن يكون عمله نابعاً من الحياة ومصنوعاً صنعة خيالية في الوقت نفسه، ولكنه ينبغي أن يكون بعيداً عن محاكاة الواقع وتمثيله، وأن يصبح في النهاية كأنه يحكي حكاية عن حكاية".(٢)

مما سبق يتضح لنا أن تطور المفارقة كان عن طريق الفلاسفة منذ زمن بعيد، من حيث المصطلح الذي تعارف عليه الأدباء حديثًا.

المفارقة في النقد الحديث:-

إذا تحدثنا عن المفارقة في النقد الحديث، نجد أن الاهتمام الكبير بها في الدراسات الأسلوبية، كما نجد العديد من التعريفات لهذا المصطلح، يقول ميويك (muecke): "والمفارقة بهذا المعنى طريقة في الكتابة، ترغب في أن يظل السؤال قائمًا عن المعنى الحرفي المقصود. فثمة إرجاءٌ أبدي للمعنى المقصود؛ فالتعريف القديم للمفارقة – قول شيء والإيحاء بنقيضه – قد تجاوزته مفهومات أخرى كثيرة، منها مثلاً أن المفارقة هي قول شيئًا بطريقة تستفز عددًا لا نهائيًا من التأويلات المختلفة".(٣)

(١) المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، صـ١٣٤، مرجع سابق.
(٢) المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، صـ١٣٤، مرجع سابق.
(٣) المفارقة وصفاتها، ميويك، ضمن موسوعة المصطلح النقدي، صـ٣٦، مرجع سابق.

من خلال تعريف ميويك السابق، يتضح لنا أنه يلغي التعريف القديم؛ لأنه أراد أن يثبت مفهومًا جديدًا للمفارقة يتمثل في القول الذي يحتوي على كثير من الدلالات؛ لأن في ذلك العطاء مساحة للقارئ أو المتلقي أن يشارك مشاركة فعالة عند قراءته للعمل الشعري.

لذا فالمفارقة عند بروكس (cleant Brooks): "لغة الفكر والصلابة والبراعة وسرعة الخاطر".(١)

وفي تلخيص أحد الباحثين ما يقصِّر علينا الطريق؛ لأنه يجمع لتعريفات كثيرة تدلنا على هذا المصطلح حديثًا:

- معجم أكسفورد المختصر: "المفارقة تعبير عن معنى معين بلغة نقيضة".
- أوجست شليجل: " المفارقة شكل من النقيضة " .
- دي سي ميويك : " قول شيء دون قول حقيقة " .
- صموئيل جونسون : " طريق من طرائق التعبير يكون المعنى فيها مناقضًا، أو مضادًا للكلمات".
- صموئيل هانثر : "نظرة في الحياة تجد الخبرة عرضة لتفسيرات متنوعة ليس فيها واحدة صحيحة دون غيرها، وذلك لأن التنافرات جزء من طبيعة الوجود".
- آلان رودي: "المفارقة ليست رؤية معنى حقيقي تحت آخر زائف، بل هي مسألة رؤية مزدوجة على صفحة واحدة".
- رولان بارت: "المفارقة شكوك تتحول إلى نوع من القلق مطلوب في الكتابة، ومن شأن هذا القلق إبقاء تلاعب الرموز تعدد الدلالات قائمًا".
- ماكس بيربوم": " المفارقة إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيرًا".
- ماريك فينلي: "المفارقة علامة منتجة لعدد غير محدود من العلامات".
- البلاغيون الجدد: "المفارقة صيغة من الصيغ الثلاث: –

(١) "لغة المفارقة" كلينث بروكس ، ترجمة: محمد منصور أبا حسين، مجلة الدارة، عدد (٢)، لسنة (١٦) ١٤١١هـ، صـ١٧١.

أ) الباث يقول شيئًا، بينما هو يعني شيئًا آخر.
ب) الباث يقول شيئًا، بينما شيء آخر يفهمه المتلقي.
ج) الباث يقول شيئًا، بينما يقول في الوقت نفسه شيئًا آخر".(١)

ثم يواصل الدكتور/ خالد سليمان حديثه معلقًا على أن هناك عناصر مشتركة تربط بين كل هذه التعريفات لخصها فيما يلي:-

" أولاً : الكلام الذي يتم تنسيقه في منظومة معينة بحيث يؤدي الدال في هذه المنظومة مدلولات سياقية نقيضة لمدلوله المعجمي.

ثانيًا : الرسالة، وهي ما تحمله المفارقة من المعاني أو الدلالات النقيضة للدلالة المعجمية الظاهرة، أو ما تود المفارقة أن تحققه في نفس صاحب البصيرة من رؤية.

ثالثًا : صاحب البصيرة، وهو الطرف الذي تحقق رسالة المفارقة نفسها لديه، وينحصر في الباث والمتلقي والضحية".(٢)

وقبل أن أبدأ الحديث عن المصطلح في النقد العربي الحديث، أودُّ أن أشير إلى نقطة هامة، وهي أن هناك من يتحدث عن عدم وجود هذا المصطلح عند العرب وكأنه وجد عندهم عيبًا يقلل من قيمتهم وقامتهم، مع أنه خاطئ تمامًا؛ لأن أغلب المصطلحات الحديثة، والتي لم ترد بألفاظها عند العرب قديمًا، إنما هي ذات أصل عربي في مفهومها.

والآن أتحدث عن دولة أوربية غربية حديثة، وعن معرفتها بالمصطلح، وأسوق هذا لمن يتحدث عن عدم معرفة نقادنا لهذا المصطلح، فله أن يعرف أن "كلمة "المفارقة" لم تظهر في الإنكليزية حتى عام ١٥٠٢، ولم يجر استعمالها بشكل عام حتى بواكير القرن الثامن عشر، فقد استعملها "دريدان" مثلاً مرة واحدة. لكن اللغة الإنجليزية كانت غنية بمفردات تجري على الاستعمال اللفظي بما يمكن احتسابها مفارقة من حيث الجوهر: يسخر، يهزأ، يغمز، يعيّر، يتهكم،

(١) المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق – خالد سليمان، عمان – دار الشروق، ١٩٩٩م، صـ١٧وما بعدها.
(٢) المفارقة والأدب دراسة في النظرية والتطبيق، خالد سليمان، صـ١٨، مرجع سابق.

يزدري، يحتقر، يهين".[١]

هذا حال المصطلح حديثًا، يحتوي على بعض ألفاظ عند الإنجليز تدل على هذا المفهوم، وهذا يشبه كثيرًا ما كان عليه حال النقد العربي قديمًا بالنسبة للمفارقة.

أما في النقد العربي الحديث، فهناك عدة تعريفات للمفارقة، منها: "إنها استراتيجية قول نقدي ساخر، وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني، ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية. والمفارقة هي طريقة لخداع الرقابة، حيث إنها شكل من الأشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة".[٢]

إن: "المفارقة لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيدًا، تستخدم لقتل العاطفية المفرطة، وللقضاء على المظهر الزائف، ولفضح التضخيم الفكري".[٣]

من خلال التعريفين السابقين واللذين يتضح لنا مدى ارتباطهما باللغة، نصل إلى "أن فن المفارقة يتحقق حين يقال الشيء دون أن يقال، وحين يكون القصد مفهومًا دون أن يكون جليًّا".[٤]

أما الدكتورة "نبيلة إبراهيم"، والتي تُعد دراستها عن المفارقة من أعظم الدراسات التي تناولت هذا المفهوم بالدراسة والتحليل والتطبيق، والتنظير، فلن تجد دراسة تناولت هذا الفن إلا ولجأت إلى دراسة "نبيلة إبراهيم"، تقول عن المفارقة:- "تعبير لغوي بلاغي، يرتكز أساسًا على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة النغمية أو التشكلية ... وهي لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين: صانع المفارقة وقارئها، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفضه بمعناه الحرفي، وذلك

---

(١) المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، صـ٢٧، مرجع سابق.
(٢) المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، فصول – مجلة النقد الأدبي – يناير/فبراير/مارس/ ١٩٨٢م، مج٢، ع٢، صـ١٤٣.
(٣) سيزا قاسم – السابق – صـ١٤٤،.
(٤) المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، صـ١٤٤، مرجع سابق.

لصالح المعنى الخفي الذي غالبًا ما يكون المعنى الضد".[١]

من خلال ما ذكرت من تعريفات موجزة، تبيّن لنا أن المفارقة ذات ارتباط كبير باللغة، كما أنها لغة ذهنية حيث الدور الكبير للعقل في ظهورها على أرض الواقع.

المبحث الثالث :- صانع المفارقة وأدواتها ووظيفتها : -

لا بدّ أن يكون صاحب المفارقة، أو صانعها على قدر كبير من الذكاء؛ حتى يستطيع "أن يوصل معناه الحقيقي من غير أن ينم عن أدنى شعور بوجود أي معنى غير المعنى المزعوم".[٢]

وصانع المفارقة هو من "يتركز فيما اصطلح على تسميته بالذات الترانسندنتالية، فما الذات الترانسندنتالية؟ إنها الذات السلبية التي لا تستطيع أن تحبس نفسها داخل التاريخ والواقع، بل تجاوزهما وتعلو فوقهما، تاركة نفسها لعفوية الفكر... وتمثل المفارقة المسافة بين الذات التجريبية والذات الترانسندنتالية".[٣]

هذا ما أراه في أعمال شاعرنا "محمود الخفيف"، حيث ثار على الواقع ولم يحبس نفسه داخل براثن التاريخ مشلول الفكر دون أن يقاوم سلبيات المجتمع. كما أن شاعرنا امتلك أدوات صنع هذه المفارقة، فهي: "تحتاج – في صناعتها – إلى مهارة لغوية خاصة، كما تحتاج إلى إحكام بالغ الدقة ،للعلاقة بين الشكل والوظيفة، أو بعبارة أخرى: بين المقال والمقام".[٤]

المفارقة والقارئ أو المتلقي :-

ليس كل من يقرأ العمل الأدبي يكون بإمكانه اكتشاف ما يرنو إليه الكاتب، وإنما يحتاج ذلك إلى شروط يجب أن تتمثل في هذا القارئ، فلا بدّ من "وعيه التام

(١) المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، صـ١٣٢، مرجع سابق.
(٢) المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، صـ٤٥، مرجع سابق.
(٣) المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، صـ ١٣٦، مرجع سابق.
(٤) المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة – محمد العبد – دار الفكر العربي، ط:١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، مطبعة الأمانة، صـ٨.

بأن العمل الأدبي بصفة عامة، وفي أعمال المفارقة بصفة خاصة، لا يحاكي الواقع أو يمثله، وإنما هو كشف وإضاءة لجانب من جوانب الحياة التي يختلط بعضها ببعض، ويتضارب بعضها مع بعض، ولا بدّ أن يكون القارئ مدربًا على قراءة النصوص اللغوية حتى يتكون لديه حس ما بشفافية اللغة، وهو أساس العلاقة بين القارئ و النص".(١)

ثم تتدرج هذه العلاقة بين القارئ والنص، كما تقول "نبيلة إبراهيم" على النحو التالي: -

" ١ – وصول النبرة التي يرسلها صاحب المفارقة إليه من خلال اللغة...

٢ – يصبح القارئ على يقين من أن بعض العبارات بل العمل كله لا يمكن أن يصبح مقبولاً للفهم إلا بعد رفض ما يقال ظاهريًا.

٣ – أن يبحث عن بديل لما لا يقبله، ولا بد أن يكون هذا البديل متصلاً بإشارات لغوية في النص من ناحية، ومؤتلفًا مع وجهة نظر صاحب المفارقة من الناحية الفكرية والعقائدية من جهة أخرى.

٤ – الوصول في النهاية إلى وحدة من الصياغة الموضوعية المتكاملة".(٢)

يتضح لنا بالنظر في الشروط السابقة، والتي وضعت للعلاقة بين القارئ والنص، أنها علاقة لغوية، حيث ترفض ما يقال ظاهريًا، كما أنها تحتاج إلى قارئ متمرس يستطيع أن يتكامل مع صانع المفارقة.

لغة المفارقة : -

مجالات كثيرة تلك التي تثير المفارقة، بل تكون أساسًا في وجودها، هذه المجالات هي: "التي يودع فيها أكبر رصيد عاطفي: الدين، الحب، الأخلاق، السياسة، التاريخ. وسبب ذلك أن هذه المجالات تتميز بانطوائها على عناصر متناقضة".(٣)

(١) المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، صـ ١٤٠، مرجع سابق.
(٢) المفارقة – نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، صـ ١٤٠، مرجع سابق.
(٣) المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك، صـ١٩٤، مرجع سابق.

ويأتي استخدام المفارقة "في نهاية المطاف عندما تفشل كل وسائل الإقناع، فعندئذ تظل المفارقة هي الطريق الوحيد المفتوح أمام الاختيار".(١)

كل هذا وغيره ، يحتاج صانع مفارقة ذا مهارة خاصة، لديه ذكاء لغوي فائق، يستطيع أن يتلاعب بالألفاظ، فلو كان مثل شاعرنا مثلاً، وهو يتحدث في الأحوال السياسية ومعرضًا للكثير من المصائب، لو لمْ تكن لديه قدرة لغوية، وذكاء ذهني لما استطاع أن يصل إلى ما يهدف إليه.

فبعض الحقب التاريخية فى نظر "سيزا قاسم" هي التي تولد لغة المفارقة، تقول: "هناك بعض حقب تاريخية تولد لغة المفارقة، فهذه اللغة وليدة موقف نفسي وعقلي وثقافي معين".(٢)

أما "نبيلة إبراهيم"، فترى أن "المفارقة في أخص خصائصها صنعة لغوية، فهي عندما تتعمد أن تقول شيئًا وتعني شيئًا آخر كلية، وعندما تثبت حقيقة ثم لا تلبث أن تلغيها، وعندما تحدث الانفصال بين العالم التجريبي والترانسندنتالي، إنما يتم ذلك من خلال المهارة الفائقة في تحريك اللغة، بشرط أن تظل محتفظة بشفرتها السرية على نحو ما حتى يفكها القارئ".(٣)

من هنا ، ومن خلال أهمية اللغة في الاستخدام، يظهر لنا جليًّا احتياجنا إلى قارئ، أو متلقٍ ذو مهارة خاصة في اللغة؛ لأن "المفارقة تتطلب من القارئ الإمعان الشديد في اللغة وحركتها، حتى يتم له إدراك المعنى في هدوء، فإذا حدث ضحك لدى القارئ في أثناء ذلك، فإنما هو ضحك هادئ يساعد على إطالة التأمل في الحياة".(٤)

وتظل لغة المفارقة "لغة حائمة حول إشكاليات اجتماعية وفكرية على مستوى المحدود واللامحدود، دون أن تقف منها موقف المحلل الذي يتعمد إبراز

(١) المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، صـ ١٤٣، مرجع سابق.
(٢) المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، صـ ١٤٣، مرجع سابق.
(٣) المفارقة – نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، صـ ١٣٩، مرجع سابق.
(٤) المفارقة – نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، صـ ١٣٩، مرجع سابق.

الحقائق".[١]

إلا أنّ هذه اللغة قد اختلفت وجهتها في أدبنا المعاصر؛ لأنها خرجت عن المسار الموضوع لها، وهو عدم السطحية، إلى جانب عدم الإغراق في الصنعة؛ لذا وجدنا إحدى ناقداتنا تقول: "لغة المفارقة في أدبنا المعاصر تتعمد التغريب والإغراق في الصنعة الخيالية".[٢]

وهكذا فإننا نرفض سطحية اللغة في غير عمق، كما نرفض تغريبها واعتمادها على الصنعة الخيالية.

أدوات المفارقة: -

للمفارقة أدوات متنوعة تساعد في وصول المنطوق إلى المتلقي، فـ"الكلام المنطوق، يعول على أدوات للمفارقة، تنسجم مع طبيعة وخصائص تركيبه، ففي الكلام المنطوق يمكن أن تنتقل المفارقة ، من خلال أنماط محدودة من النبر (Stress)، والتنغيم (intonation). وينتقل أيضًا بواسطة وسائل فوق لغوية (Paralinguistic)، مثل الإيقاع (Rhythm) وطريقة الأداء (Tempo)، ونغمة الصوت (Tone of voice)، وعلو الصوت (Loudness)، ونحو ذلك".[٣]

كل ما ذكرنا يُعدّ طريقة من طرق التوصيل، أو كيفية استيعاب المفارقة في النص الأدبي.

عناصر المفارقة : -

تتحدث الناقدة "نبيلة إبراهيم" عن عناصر المفارقة، وتجملها في أربعة بنود، هي:- "١ – وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد، المستوى السطحي للكلام على نحو ما يعبر عنه، والمستوى الكامن الذي لم يُعبر عنه، والذي يلح القارئ على اكتشافه إثر إحساسه بتضارب الكلام، كأنه أشبه بزوبعة مثارة لا يعرف مصدرها.

٢ – لا يتم الوصول إلى إدراك المفارقة إلا من خلال إدراك التعارض أو

(١) المفارقة – نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، صـ ١٤٠، مرجع سابق.
(٢) المفارقة – نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، صـ١٣٨، مرجع سابق.
(٣) المفارقة القرآنية، محمد العبد، صـ٢٣، مرجع سابق.

التعاطي أو التناقض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنص.

٣ – غالبًا ما ترتبط المفارقة بالتظاهر بالبراءة، وقد يصل الأمر إلى حد التظاهر بالسذاجة أو الغفلة.

٤ – لا بد من وجود ضحية في المفارقة. وقد تكون أنا الكاتب هي الضحية.. وقد تكون الضحية هي الـ "أنت" أو الآخر.. وأيّاً ما كانت هذه الشخصية، فهي ضحية متهمة وبريئة، ولكنها في الوقت نفسه تدعي لنفسها ما هو مبالغ فيه على سبيل الافتراض فحسب".(١)

أما ناصر شبانة فيورد عناصر للمفارقة تتمثل في الآتي:-

"١ – وحدة البناء : ويقصد بها أنها هناك لفظة واحدة أو بنية لغوية واحدة تخرج لدلالات متعددة، ولا بد من ذلك بوجود على الأقل دلالتين تربطهما علاقة تضاد، ليأتي دور القارئ الفطن ليكتشف المعنى الذي يذهب إليه صانع المفارقة.

٢ – القرينة أو المفتاح : بما أن المفارقة لعبة لغوية ماهرة بين صانعها و قارئها على حد تعبير "نبيلة إبراهيم"، فإنه يصبح لدى مستقبلها بمثابة لغز؛ لذا يستوجب على منتجها أن يقدم مفاتيح عادة ما تكون قرائن سياقية، لا قرائن لفظية؛ ليتسنى اكتشاف المعنى الباطن.

٣ – ضحية المفارقة: بما أن هناك صانع المفارقة ومكتشفها، فلا بد من وجود ضحية لهذه المفارقة الذي يحدد دورها الكاتب والقارئ المكتشف للمفارقة ينظر إلى الضحية نظرة المتعاطف والساخر في نفس الوقت.

٤ – عدم الإجماع : يعني أن الرسالة أو البنية المفارقة تستوجب تغييرات متفاوتة ومتباينة، وذلك بحسب المتلقي وكيفية اكتشافه للمعنى".(٢)

أما استخدام المفارقة في الشعر فله ثلاثة أغراض:-

"أ – إن المفارقة تباغت القارئ وتجفله (تدهشه)، وبالتالي تثير انتباهه.

---

(١) المفارقة – نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، ص١٣٣.

(٢) المفارقة في الشعر العربي الحديث، ناصر شبانة، ص٥٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١ – ٢٠٠٢م.

ب – إن المفارقة تحفز القارئ إلى التفكير والتأمل في موضوعها.

جـ – تمتع القارئ "انفعاليًّا"؛ لأنها تمنحه حسّاً باكتشاف علاقات خفية في القصيدة".(١)

نعم ، فإن المفارقة تصيب القارئ "بالدهشة"، كما أنها تتركه معلقًا بين ظاهر النص وباطنه، داعية إياه إلى التأمل والبحث عما وراء الظاهر.

فالمفارقة تثير الدهشة والتعجب لدى القارئ أو الشاعر أيضًا؛ لأنها "في أصلها الأول من سمات الشاعر. وهل أصلها إلا (الدهشة) حين يبدد الشاعر عن نفسه في لحظات خاطفة رتابة الحياة من حوله وألفه لها.. ولكن الشاعر حين يحس بهذه الدهشة، وحين يستخفه العجب لا يلتزم أن يخرج هذا في الصورة البيانية التي أطلقنا عليها لفظ المفارقة".(٢)

وظيفة المفارقة: -

للمفارقة وظائف متعددة "فقد تكون سلاحًا للهجوم الساخر، وقد تكون أشبه بستار رقيق، يشف عما وراءه من هزيمة الإنسان. وربما أدارت المفارقة ظهرها لعالمنا الواقعي وقلبته رأسًا على عقب. وربما كانت المفارقة تهدف إلى إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية لنرى ما في ماضيه من متناقضات وتضاربات تثير الضحك".(٣)

من هنا تم الحكم على المفارقة بأنها أداة أسلوبية تتفاعل مع التهكم والاستهزاء.

كذلك للمفارقة وظيفة إصلاحية، تعمل على توازن الحياة، يقول "دي سي ميويك": "إن للمفارقة وظيفة إصلاحية في الأساس. فهي تشبه أداة التوازن التي تبقي الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم، تعيد إلى الحياة توازنها عندما تحمل

---

(١) النقد التطبيقي التحليلي – عدنان خالد عبد الله، بغداد – دار الشئون الثقافية العامة، ١٩٨٦م، صـ٢٧.

(٢) ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار الشعري، د/ عبد العزيز الأهواني، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢م، صـ١٠٦، ١٠٧.

(٣) المفارقة القرآنية، محمد العبد، دار الفكر العربي، صـ١٨، مرجع سابق.

على محمل الجد المفرط، أو لا تحمل على ما يكفي من الجد".[١]

فالمفارقة – كما قلنا – قديمة قِدم الإنسان؛ لأنها ذات صلة وثيقة بحياته، ولذلك ترجع أهميتها؛ لأن الناس يستعملونها في حياتهم اليومية، لكن إحساسهم بها هو ما يفتقدونه؛ نظرًا لمشاغلهم الكثيرة.

لذا يقول "دي سي ميويك": "إن أهميتها تظهر في أدب العالم الغربي أكثر، وذلك لحس الكاتب بها، ومن هؤلاء "اسخيلوس"، و"سوفوكليس"، و"أفلاطون"، و"شكسبير"...".[٢]

فالمفارقة موجودة معنا في كل أحوال حياتنا، لكننا لا نحس بها، ومن هنا نقول: إن كانت المفارقة هامة بالنسبة للأدب عامة، فإنها أكثر أهمية بالنسبة للشاعر الذي نحسبه يحس بالكلمة أكثر من غيره. أما إحساس القارئ بها، فيكمن في قدرته على فك رموزها وشفراتها، وعدم انصياعه للمعنى السطحي البسيط.

أهداف المفارقة: -

من أهداف المفارقة الرئيسية ألا تجعل الناس يصدقون ما يلقى عليهم من أعمال، بل عليهم تفسيرها، ووضع الاحتمالات لها، تقول "نبيلة إبراهيم": المفارقة "تهدف لا إلى أن تجعل الناس يصدقون، بل إلى أن تجعلهم يعرفون، وهم لا يعرفون حقائق بقدر ما يعرفون احتمالات لحقائق، ومن شأن الاحتمالات أنها لا تدع للإنسان أرضاً صلبة يقف عليها، وهي سمة أساسية كذلك من سمات المفارقة".[٣]

ويرى "دي سي ميويك" " ١ – أنها وسيلة بلاغية؛ إذ يؤكد صاحب المفارقة "زيفًا" يعلم أنه يستطيع الاعتماد على السامع أن يناقض ذلك ذهنيًّا، بقول معاكس صفته الغضب أو التسلية، ويكون هذا القول المعاكس بما يحمله من تشديد هو المعنى الحقيقي الذي يريده صاحب المفارقة. ٢ – دعابة متجهمة... ٣

---

(١) المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، صـ١٢٥، مرجع سابق.
(٢) راجع : المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، ص١٠، ١١، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، المجلد الرابع، ط:١، سنة ١٩٩٣م ، وط١ ، سنة ١٩٩٨، مج٤، صـ١٢.
(٣) المفارقة – نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، مج٧، ع٣، ٤، صـ١٣٣، ١٣٤، مرجع سابق.

– سلاح هجاء، أو بشكل أعم لمصلحة الأخلاق".(١)

فكون المفارقة وسيلة بلاغية، يجعلنا نؤكد أن من أهم أهدافها الوصول إلى المعنى الخفي الذي هو ضد المعنى الظاهر، وهذا ما أكده "عبد القاهر الجرجاني" في نظريته معنى المعنى، عندما قال: "إن الكلام على ضربين: المعنى، ومعنى المعنى. والمعنى عنده المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي نصل إليه بغير واسطة. أما معنى المعنى فهو: أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذاك المعنى إلى معنى آخر".(٢)

فالمفارقة على هذا يكون جُلّ اعتمادها على قوة التوتر بين المعنى السطحي والمعنى الخفي المضاد له.

أنواع المفارقة : -

ذكرنا سابقًا أن المفارقة ظاهرة حياتية تقوم على التناقض والتضاد، وبما أنها أدب "فهي تنطوي على تفاعل جدلي دائم بين الموضوعية والذاتية، بين مظهر الحياة وحقيقة الفن، وبين وجود المؤلف في كل جزء من عمله عنصرًا مبدعًا منعشًا، وبين ارتفاعه فوق عمله بوصفه المتقدم الموضوعي".(٣)

لذا وجدنا النقاد وقد اختلفوا حول أنواع المفارقة، وأشكالها، لدرجة أن الباحث أصبح في حيرة من أمره؛ نتيجة لكثرة هذه التقسيمات؛ حيث صعب عليه التفريق بينها؛ لعدم وجود حدود فاصلة بين بعضها البعض.

وبما أننا ومن خلال القراءة حول هذا الموضوع، قد تبين لنا أن أكبر نوعين من أنواع المفارقة هما: المفارقة اللفظية، ومفارقة الموقف، وهذا ما يؤكده لنا "سي ميويك"، والذي جعل المفارقة تخضع للتقسيمات التالية:

"١ – المفارقة اللفظية. ٢ – مفارقة الموقف

أما المفارقة اللفظية فأبرزها نمطان، أطلق على الأول "أسلوب الإبراز"،

---

(١) المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك، مج٤، ط:١، صـ٩٠، مرجع سابق.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، صـ٢٠٣، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة – بيروت – لبنان – (د.ط)، ١٩٨٢م.

(٣) المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك، ، ط١، سنة ١٩٩٨م، مج٤، صـ١٠٩.

وعلى الثاني "أسلوب النقش الغائر".

ثم قسم مفارقة الموقف، إلى خمسة أنماط هي: -

١ – مفارقة التنافر البسيط. ٢ – مفارقة الأحداث. ٣ – المفارقة الدرامية.

٤ – مفارقة خداع النفس . ٥ – مفارقة الورطة.

كما قسّم المفارقة من ناحية درجاتها إلى ثلاث درجات: -

١ – المفارقة الصريحة. ٢ – المفارقة الخفية. ٣ – المفارقة الخاصة .

ثم قسمها من ناحية طرائقها وأساليبها إلى أربعة أقسام:

١ – المفارقة اللاشخصية. ٢ – المفارقة الساذجة. ٣ – المفارقة الممسرحة.

وهذا التقسيم يكون في ضوء العلاقة بين المفارقة وصاحبها.

إلى جانب هذه الأنماط من المفارقة، يذكر ميويك أنماطًا أخرى هي:-

مفارقة سوفوكليس: وهي المفارقة الدرامية .

المفارقة المأسوية – المفارقة العدمية – المفارقة التشكيكية – المفارقة الرومانسية – المفارقة الوجدانية – المفارقة الكونية – المفارقة الفلسفية – مفارقة القدر – مفارقة التواضع الزائف – المفارقة المزدوجة – المفارقة العملية – المفارقة الهزلية – المفارقة البلاغية".[١]

عود على بدء، كما ذكرنا سابقًا فإن أهم نوعين هما: المفارقة اللفظية، مفارقة الموقف؛ وذلك لأن كل من كتبوا عن المفارقات كتبوا عن المفارقة اللفظية، فعليها اتفاق وإجماع.

فالمفارقة اللفظية: "لا تخرج عن كونها دالاً يؤدي مدلولين نقيضين أحدهما قريب نتيجة تفسير البنية اللغوية حرفيًا، والآخر سياقي خفي يجمد القارئ في البحث عنه واكتشافه".[٢]

ويقول ميويك: "المفارقة اللفظية انقلاب في الدلالات".[٣]

---

(١) المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك، ط١، سنة ١٩٩٨م، مج٤، صـ٦٥، ٦٦.

(٢) المفارقة في الشعر العربي الحديث، ناصر شبانة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، سنة٢٠٠٢م، صـ٦٤.

(٣) المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك، ط١، مج٤، صـ٣٢.

أما محمد العبد فيرى أنها: "شكل من أشكال القول يساق فيه معنى ما. في حين يقصد منه معنى آخر يخالف غالبًا المعنى السطحي الظاهر".(١)

وبما أننا اخترنا المفارقة اللفظية، ومفارقة الموقف للحديث حولهما، فمن الواجب أن نعرف الفرق بينهما، فـ"المفارقة اللفظية" تقوم على مفارقة يعتمد صاحبها اتخاذ تلك الصفة، أما مفارقة الموقف تقوم على حالة أو حدث".(٢)

إذًا فالمفارقة اللفظية مبنية على التضاد، وهناك من يسميها "مفارقة المقابلة".(٣)

وللمفارقة اللفظية أشكال متعددة، سنتناولها عند التحليل للأعمال الشعرية لشاعرنا الذي يدور حوله هذا البحث.

بواعث المفارقة عند الخفيف:-

وقبل أن نتناول أنواع المفارقة عند "محمود الخفيف"، نود أن نشير إلى بواعث المفارقة عنده، وكذلك التأكيد على أنه صانع المفارقة. إن من الأسباب المهمة التي أدت إلى ظهور المفارقة في شعر "محمود الخفيف"، أو قل من بواعث المفارقة عنده، كتابه الشهير "أحمد عرابي" – "الزعيم المفترى عليه"، وكان ذلك الكتاب يُنشر في مجلة الرسالة (السنة السابعة – العدد ٢٩٩ – بتاريخ ١٩٣٩/٣/٢٧م) وكان سنُّهُ في ذلك التاريخ ثلاثين عامًا".(٤)

يقول الكاتب الكبير "رجاء النقاش": "لقد انزعج القصر الملكي في أيام فاروق انزعاجًا شديدًا من فصول الكتاب، أما السفارة البريطانية فقد غضبت وهددت بإغلاق مجلة الرسالة إذا استمرت في نشر فصول الكتاب، فقد كان الكتاب قائمًا على أدق المعلومات والوثائق التي تفضح الاحتلال الإنجليزي لمصر...وقد تعرَّض الخفيف بسبب كتابه عن عرابي لعقاب شديد من القصر الملكي وحكومات

(١) المفارقة القرآنية، محمد العبد ، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٢، سنة ٢٠٠٦م، صـ٥٤.
(٢) المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك ، ط١، مج ٤ ، صـ٧٢.
(٣) عن بناء القصيدة العربية الحديثة – على عشري زايد، القاهرة – مكتبة النصر، ط٣، ١٩٩٣م، صـ١٤٨.
(٤) راجع : ديوان محمود الخفيف ، صـ٦.

الأقلية الموالية للملك فاروق".[1]

الأمر الثاني: هو كتابه "من وراء المنظار"، والذي عرض فيه لسلبيات المجتمع، فرأى من المفارقات والغرائب ما يدعوه إلى التسجيل.

الأمر الثالث: هو تعلقه الشديد بالريف المصري صاحب القيم والمبادئ والأخلاقيات، التي رأى في المدينة ما يخالفها، خاصة الذين ينافقون الحكام ويصفقون لهم على ظلمهم.

الأمر الرابع: ثقافته الدينية، حيث تربى ونشأ في أسرة متدينة، وسياسية أيضًا، الأمر الذي دعاه بالتأكيد لاستدعاء التراث في الكثير من أشعاره.

تلك العوامل التي تضافرت على "محمود الخفيف"، والتي منها – كما ذكرنا – العام الذي يهم المجتمع، والخاص الذي أثّر في حياته وتربيته، هذه العوامل أمدته القوة والبراعة لأن يكون صانعًا للمفارقة، وأصبح إطلاق اسم ما يعرف بالذات "الترانسندنتالية" عليه أمرًا واجبًا، ومن مواصفات هذه الذات أنها ذات سلبية "لا تستطيع أن تحبس نفسها داخل التاريخ والواقع، بل تجاوزهما وتعلو فوقهما، تاركة لنفسها عفوية الفكر، وهي الذات المغالطة التي تخضع سلبيتها لموضوعية مزعومة، وتمثل المفارقة المسافة بين الذات التجريبية والذات الترانسندنتالية".[2]

فإذا نظرنا في الغالبية العظمى من أشعار "الخفيف"، وخاصة وطنياته، نجده وقد صنع لنفسه عالمًا خاصًّا يعلو به على ذاته، فها هو في قصيدة "عتاب"، حيث يتحدث إلى صديقه متعجبًا من أمره؛ لأنه جافاه من غير ذنب اقترفه، وما فعل معه شيئًا غير الوداد، يقول: –

أي ذنب جنيت غير ودادي ∴ أيكون الوداد عندك ذنبًا؟!

ثم يعطي لنفسه الحرية في إعطائها العذر، فلإن كان غضب الصديق دون ذنب يفعله معه ، وجب عليه أن يمنح نفسه العذر مؤكدًا على أن في ذلك سلوته،

(١) الأهرام – العدد ٤٢٣٨٤ – بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/٢٢م.
(٢) المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مج٢، ع٢، سنة ١٩٨٢م، صـ١٣٦.

يقول:-

ذاك ذنـــبي وكيـــف أقلـــع عنـــه؟! ∴ إن ذنـــــبي تعلـــــتي ورجـــــائي

ذاك دائـــي ولســـت أشـــفق منـــه ∴ فهـــو برئـــي وســـلوتي وعزائـــي[1]

فقد صنع المفارقة عندما جعل برئه وشفاؤه في دائه، وهو بهـذا أراد أن يتم المصالحة بينه وبين صديقه.

وهذه الصورة التي ذكرناها وأمثلتها كثيرة، صورة الصدام مع الآخر هي التي صنعت المفارقة، وذلك لأن ذاته فاقدة لحريتها في اتخاذ قرار، فهو في حيرة من أمره.

"وبمقدار ما تكون الذات فاقدة لحريتها تكون شيئًا تلعب به قوى وقوانين لا تملك هذه الذات السيطرة عليها، ولا يبقى للذات عندئذ سوى أن تجد ملاذًا في المجال الترانسندنتالي، فترسل من عليائها ضحكات ســاخرة هازئــة... وكأنهــا تصرخ معلنة للناس الحكمة".[2]

وفي قصيدة "بين الشرق والغرب" يقول:

خبرونـــي كـــم لـــديكم مـــن أجـــير ∴ بـــات يبكـــي مثلمـــا يبكـــي الأســـير؟

كـــم فقـــير بـــات يشـــكو ذلـــة ∴ وهوانًـــا وهـــو بـــالرفق جـــدير! [3]

يتحدث عن الغرب الذي كان يستعمر البلاد، ويملؤها جورًا وظلمًا، فكم من أجير بات يبكي كما يبكي الأسير، والبكاء هنا لأنه فقد لحريته، لدرجة أنه أصـبح سخرة عند المستعمر، وهكذا الفقير يشكو الذل والهوان، والخفيف هنا يعبر عـن أحوال مجتمعه، ومدى الظلم الذي تعرض له. وأرى أن الخفيف هنا هـو صـانع المفارقة، وهو الضحية في نفس الوقت؛ لأنه فرد من أفراد هذا المجتمع، ولاقـى ظلمًا من هذا المستعمر كما لاقاه غيره من أبناء مجتمعه، فكيف يعيش ابن البلـد في ذل وهوان، ويعيش المستعمر في نعيم وهناء، هذا هو المعنى الظـاهر، أمـا

(١) الديوان – ص ٢٥٧.

(٢) المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول ،مج٢، ع٢، سـنة ١٩٨٢م، صـ١٣٦.

(٣) الديوان ، صـ ١٤٢ .

المعنى الخفي فهو يتحدث عن نفسه حيث مُنع من الكتابة، بل أغلقت المجلة بأكملها، فهو ضحية المفارقة، وضحية المفارقة لا بد منها لأن المفارقة تستند على هذا الأمر. "لا بد من وجود ضحية في المفارقة. وقد تكون أنا الكاتب هي الضحية.. وقد تكون الضحية هي الـ"أنت" أو الآخر.. وأيًّا ما كانت هذه الشخصية، فهي ضحية متهمة وبريئة، ولكنها في الوقت نفسه تدعي لنفسها ما هو مبالغ فيه على سبيل الافتراض فحسب، وهو ما يجعلها هشة وغير محصنة، ومعرضة للهجوم ممن هو أعلى منها.. أو معرضة للتسليم لما هو أقوى منها، كأن يكون نظام الحياة، أو نظام الكون.. وهذا ما يجعل المفارقة منطوية على المضحك والمبكي في آن واحد".[1]

وهكذا من يطلع على شعر الخفيف يجد الكثير من المفارقات التي تدل على مهارة وفطنة صانعها، وفي كثير من أشعاره الوطنية نجده ضحية الموقف.

(١) المفارقة – نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، مج٧، العدد ٣، ٤، صـ١٣٣.

المبحث الرابع :- أنواع المفارقات عند الخفيف: -

أولاً : المفارقة اللفظية : -

كما ذكرنا سابقًا "هي شكل من أشكال القول، يساق فيه معنى ما، في حين يُقصد منه معنى آخر، غالبًا ما يكون مخالفًا للمعنى السطحي الظاهر... ويجتمع فيها أكثر من عنصر، فهي تشتمل على عنصر يتعلق بالمغزي (itlocutionary) هو مقصد القائل...، وعنصر لغوي (Locutionary) أو بلاغي هو عملية عكس الدلالة".(١)

أما تعقيد المفارقة فينشأ "نتيجة لعملية سكِّها (encoding) وحلها (decoding)؛ ذلك أنها تشتمل على دال واحد ومدلولين اثنين: الأول: هو حرفي ظاهر وجلي، والثاني: متعلق بالمغزى، موحيّ به، خفيّ".(٢)

من هنا يتبين لنا أن صانع المفارقة يذكر قولاً، المعنى فيه يخالف البنية اللغوية السطحية الظاهرة، فالمفارقة تبحث في معنى المعنى.

وللمفارقة اللفظية أشكال متنوعة، نختار هنا أهم هذه الأشياء.

أ - مفارقة التضاد :

التضاد أمر مسلَّم به في الحياة، فقد بنيت على التضادات، فما من ليل إلا ويقابله نهار، وما من بياض إلا وضده السواد...الخ، وفي هذا يقول "عبد الرحمن بدوي: – "والوجود في مشاقة مع ذاته.. التناقض جوهره، والتغيير قانونه، الذي يجرى عليه في تحققه. والتغير معناه المغايرة، والمغايرة أن يصير الشيء إلى ذاته، وهذه الغيرية معناها وجود التضاد في طبيعة الوجود.. وإذا كان التغير جوهر الوجود كان التضاد من جوهر الوجود كذلك.. ومنطق الوجود يجب – من ثمَّ – أن يكون جاريًا على نحو ديالكتيكي. ولذا كان الديالكتيك بمعنى السياق المنطقي من الموضوع إلى نقيض الموضوع، صحيحًا في التعبير عن حقيقة الوجود، وهو وحدة المنطق الوجودي، لا ذلك المنطق القائم على أساس مبدأ عدم

(١) المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، صـ ١٤٤، مجلة فصول، مج٢، عدد٢ يناير/فبراير/مارس/ سنة ١٩٨٢م.
(٢) السابق صـ١٤٤.

التناقض، وهو المنطق الأرسطالي، فإن هذا المنطق مجرد فكر مثالي".[١]

أما البلاغيون، فجُلهم يتفق على أن "المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد".[٢]

وقيل أيضًا : هو "الجمع بين الشيئين، يقولون: طابق فلان بين ثوبين، ثم استعمل في غير ذلك، فقيل: طابق البعير في سيره، إذا وضع رجله موضع يده، وهو راجع إلى الجمع بين الشيئين".[٣]

ويقول القزويني: "المطابقة، وتسمى الطباق والتضاد أيضًا، هي الجمع بين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة".[٤]

أما المقابلة، فهي: "أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب".[٥]

تبدأ مفارقة التضاد عند "الخفيف" من بداية العناوين، ومن المعلوم أن العلاقة بين العنوان وتفريعات العمل هي علاقة انتماء دلالي، لأن العنوان: "تجميع مكثف لدلالات النص، إن البؤرة قد يستقطبها العنوان ثم يتم ترددها في مقاطع النص، فتأتي تلك المقاطع تمطيطًا للعنوان، وتقليبًا له في صورة مختلفة، فالكلمة المحور والتي هي العنوان تتحول إلى الجملة المنطلق لتناسب النص عبر تشكلات وتقابلات عدة ليمر على الجملة الرابطة وتتلاقى هذه الآليات جميعها في الجملة

(١) الزمن الوجودي – عبد الرحمن بدوي، القاهرة – مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٥م، صـ٢٤: ٢٦.

(٢) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ، مصر – مطبعة عيسى البابي الحلبي –١٩٧١م، صـ٣٠٧.

(٣) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، صـ٣٠٧، مرجع سابق.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجى – بيروت – دار الكتاب اللبناني – ط٥، سنة ١٩٨٣، صـ٤٧٧.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، صـ٤٨٥، مرجع سابق.

الهدف...".[1]

ومفارقة العنوان هي التي يستخدمها الشاعر كوسيلة لإنتاج شعره، من ذلك عنوان قصيدة (النسر المهيض)[2] للأستاذ "محمود الخفيف"، والتي جمع في عنوانها بين المتناقضين، فلفظة (النسر) توحي بقوة هذا الطائر المعروف، والذي تخشاه كل الطيور، ثم ما يلبث أن يصدمنا بلفظة بعيدة كل البعد عن صفات هذا الطائر، حيث أصبح مهيضًا، وهي صفة لا تتوافق مع هذا الطائر الجارح، والذي يُضرب به المثل في القوة. فالمهيض هو: المكسور بعد جبر، والذي فقد كبرياءه، وينفك هذا الغموض الذي أحدثته مفارقة العنوان عندما نتجول في بستان النص الأدبي؛ لنجد أن هذا (النسر) استحق الوصف الذي أعطاه الشاعر إياه، وهو ما أظهرته لنا أبيات النص، فهو مهيض؛ لأنه تلقّى الهوان، وضاق عنه الفضاء، وتهاوت ألقاب مجده، حتى إنه لم يشاهد عاقبة كعاقبة هذا البطل، أو الذي كان بطلاً، وما أرى الشاعر إلا وأراد أن يعبّر عن حال المتغطرسين والمتكبرين، وكل من يملؤه الغرور والكبرياء، وحال هؤلاء بعد أن جار عليهم الزمن، وأصبحوا ضعفاء لا حيلة لهم، أصبحوا ألعوبة في يد القدر، وقد يقصد الحاكم المتغطرس الذي لا يدرك الأمور، فبعد أن كان الآمر الناهي، لم يستطع أن يقاوم ثورة الشعب ضده، بعد أن كان يلعب بمقدراته لدرجة أن جند عرشه قد حاروا من أمرهم، فهو طائش لا يحمل ولو جزءًا من الحكمة.

"وللتضاد طاقة توليدية لحركة التداعي والاستدعاء، والتحول والتفاعل، وما يرافق ذلك من انبثاقات دلالية مفاجئة، ففي التضاد تغيير وكسر لحركة المألوف، وفيه – كذلك – انحراف عن أفق توقع القارئ".[3]

وهناك بعض العناوين الأخرى في أشعار الخفيف، تتمثل فيها المفارقة،

---

(١) المقاربة السيميائية للنص الأدبي – عبد الجليل منقور، أدوات ونماذج محاضرات الملتقى الوطني الأول (السيميائية والنص الأدبي)، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، سنة ٢٠٠١م، صـ٦١.

(٢) الديوان صـ١٢٣، الرسالة، السنة الثامنة، العدد ٣٥٠ – ١٩٤٠/٣/١٨م، صـ٥٠١ : ٥٠٢.

(٣) تأويل الخطاب الشعري – النظرية والتطبيق، إبراهيم أمين الزرزموني، مكتبة الآداب، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ١٤٤.

مثل (بين الشرق والغرب – فارس وفارس جمال وشوك – الرجع البعيد – نشيد الحرية في عيد الهجرة بل صاحب أشقيته..الخ). والآن ننتقل إلى النص الشعري لبيان المفارقة اللفظية به.

من قصيدة (بين الشرق والغرب)، يقول:

"هيه ما أجمل أطياف الشفق ∴ تتراءى بعد أن طال الغسق
صورٌ ضاحكةٌ خافقةٌ ∴ ضَحِكِ القلب إليها وخفق
لُمعٌ توحي أحاديث الخلود ∴ عن جلال الشرق في صبح الوجود
وعن العزة إبان الضحى ∴ وبنو الغرب على الذل قعود"(١)

نرى من خلال ما سبق ذكره، أن المفارقة اللفظية تبدأ بالعنوان، وهو الحديث عن الشرق والغرب والفرق بينهما، وأرى أن الشاعر لجأ إلى ذلك لأنه أراد أن يدين الأمة الإسلامية والعربية على الحالة التي وصلت إليها، فبعد أن كانت أمة فاتحة، أمة قوية تخشاها الأمم أصبحت ضعيفة، وهانت في أعين أعدائها، إلا أنه يرى أن الغسق سيزول ويحل محله الشفق، وحدث ذلك للشاعر عندما رجع بذاكرته إلى الوراء، إلى الصور المشرقة التي تؤكد ما كان عليه أهل الشرق من عزة وكرامة، ساعتها كان بنو الغرب يقمعون في بيوت الذل والتخلف، فالألفاظ (الشفق – الغسق)، (العزة – الذل) (خافقة – خفق)، كلها تؤكد المفارقة اللفظية، التي يودّ الشاعر من خلالها إدانة عصره وأمّته.

وفي قوله :

أخو الخيل والسيف والبيد والليل ∴ يمضي فيزجي الردى كيف شاء
فتى كان في الشرق بعد الظلام الضياء ∴ وكان بمصر الرجاء
كريم الخصومة عفُّ الحسام ∴ يريك التقى ويريك الحسام".(٢)

المفارقة تبدأ من العنوان، حيث إن هذه الأبيات من قصيدة (فارس وفارس)، ففارس الشرق هو صلاح الدين الأيوبي، ثم نجد الشاعر وقد استدعى

(١) الديوان، صـ١٤٣، الرسالة، ع٩٣، ٥ ، ٤ ، سنة ١٩٣٥م، صـ٦٣١ : ٦٣٢.
(٢) الديوان، صـ١٥٤، الرسالة، س٩، ع٤٠٠، ١٩٤١/٤/٧م، صـ٢٤٥ : ٢٤٨.

من التراث بيت المتنبي:

الخيـــل والليـــل والبيـــداء تعـــرفني ∴ والســـيف والـــرمح والقرطـــاس والقلـــم

قصد بذلك تمجيد وتعظيم هذا الفارس الذي من خلال انتصـاراته تتضـح عظمة هذه الأمة، ثم تأتي المفارقات اللفظية التي تؤكد ذلك، فقد بدا النور يسطع على الشرق، حيث بُدد الظلام وحلّ محله الضياء، كما أن فارسنا عـفّ الحسـام، ويريك الحسام في نفس الوقت فهو يعرف أصول ومبادئ القتال، فهو رحيم يكف حسامه ساعة استسلام عدوّه، ويكون حسامه بتّارًا ساعة أن يُعتدى على وطنـه، فالمفارقة بالنسبة لمن ينظر إليها نظرة سطحية هي مدح لهذا الفارس المغـوار، أما حقيقة الأمر فيريد أن ينفث العزيمة والقوة والكرامة لـدى أبنـاء الشـعب، متمثلين في ذلك بأبطال مغاوير قد سبقوهم، ضحوا بأرواحهم من أجـل أن تحيـا أوطانهم.

فمن خلال هذا الإسقاط نسـتطيع أن نقـول: إن ألفـاظ المفارقـة نالـت خصوبتها، ولقد زاوج الشاعر بين التضاد الإسمي (الظلام – الضياء)، والفعلـي من خلال (يعف الحسام – يريك الحسام)، وهنا نلحظ توقد ذهنية الشاعر، والتـي تجلت من خلاله فاعلية التضاد.

حيث نفهم من خلال المفارقة كاملة، أن هناك موقفين: موقـف سـلبي، وآخر إيجابي، فالإيجابي هو قوة هذا الفارس الشاب الذي وصل لدرجة يتحكم فيها من حيث الإقدام والإحجام، فيعرف متى يذيق عدوه العذاب، ومتى يحجم عن ذلك، أما الموقف السلبي فهو موقف الشباب في عصر الشاعر حيث السكون والخضوع والخنوع، لدرجة أن المستعمر هو الذي أصبح يتحكم في الأمر كيف شـاء، كمـا نفهم منها حجم الشحنة الانفعالية الداخلية للشاعر، والتي عملـت علـى تفجـر الدلالات المتضادة، والتضاد في الشعر يكسبه "الانسـجام والتنـوع فـي الوقـت نفسه"(١)، والتضاد "يرتبط بطبيعة لغة الشعر ارتباطًا حميمًـا مـن حيـث تميـزه

(١) قضايا الشعرية، رومان جاكسبون، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ١٩٨٨م، صـ١٠٦.

بالتعبيرية وقدرته على الإيحاء وإثارة الانفعال وتمثيل التباين السطحي والعميق، من خلال الجمع الفجائي بين وحدتين متقابلتين".[١]

ولنا أن نلاحظ أن هناك اختلافًا في "أسلوب التضاد في الشعر الحديث عنه في الشعر القديم، فالشاعر المعاصر يركز على العناصر الشعورية والنفسية ليعبر عن الصراع والاضطراب المنتشر في المجتمع، مجسمًا بشكل واضح تلك المتناقضات في نفسه وفي الكون؛ ليعيش – ونحن معه – حالة التوتر والتوهج والإقناع".[٢]

يقول الشاعر في قصيدة (عتاب) :

" من رآني يهوله اليوم لوني ∴ واكتئابي ولوعتي وذبولي
وهن العظم في الصبابة مني ∴ ودهى الناس حيرتي وذهولي
..... ∴ .....
..... ∴ .....
قُتل الحب كم أحل دماء ∴ من دماء الشباب في غير حق!
ولكم أورث النفوس عناء ∴ واستباح القلوب في غير رفق[٣]

ثم ما يلبث أن يقول في أبيات أخرى :

شهد الله لو تحرر قلبي ∴ لتمنيت أن يعود أسيرا
فاقتليني إذا أردت بذنبي ∴ سوف أبقر بما جنيت فخورا"[٤]

بنظرة ثاقبة مركزة تتضح لنا ميزة الأضداد، وقدرتها على إخراج المكنون الداخلي في النص، فالشاعر في بداية كلامه يوحي إلينا بأن الحب فعل به ما تكرهه النفس، حيث ظهر ذلك مشخصًا من خلال تغيّر لونه لدرجة أن العظم قد

(١) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي – محمد العبد، القاهرة – دار المعارف، سنة ١٩٨٨م، صـ٦٩.
(٢) تأويل الخطاب الشعري – النظرية والتطبيق، إبراهيم الزرزموني، مكتبة كلية الآداب، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، صـ١٤٦.
(٣) الديوان ، صـ٢٥٨، الرسالة س١، ع٦، ١٩٣٣/٤/١م، صـ٢٤٨.
(٤) الديوان ، صـ٢٥٩، الرسالة س١، ع٦، ١٩٣٣/٤/١م، صـ٢٤٨.

وهن منه، أي فتت أعضاء جسمه لدرجة أصاب الناس فيها الدهاء؛ لأنهم لم يعرفوا السبب، فالحب أحل الدماء، وأورث النفوس العناء، إلا أنه يفاجئنا بأنه لو تحرر قلبه من أسر الحبيب لتمنى أن يعود إليه؛ حقًّا إن المفارقة تثير الدهشة والإعجاب، لقد بنى الشاعر فكرته على الأسلوب الإنشائي؛ لأنه تمنى أن يعود أسيرًا، ثم يطلب منها في صيغة الأمر الطلبي (فاقتليني)، وبهذا يتضح لنا المعنى الغائب. معنى الحب الحقيقي، الحب الذي لا يعتمد على لغة الجسد، بل قل إن شئت الحب العذري.

ويمكن أن تتحقق المفارقة عندما تنتقل الكلمة إلى موضع آخر غير الذي وضعت له، كأن تبشر بشيء سيء، أي تستخدم اللفظة في غير ما وضعت له، يقول الخفيف: –

" يا شراعًا لا تنثني عنه عيني
كيف يسهو عن سحره من يراه ؟!
نامت الفلك في سلامٍ وأمن
وسَبَى النيل حُسنها وازدهاه " [1] .

فقد انتقل اللفظ من حقله الدلالي المعروف إلى حقل دلالي آخر، حيث نامت الفلك ، وأشار إلى ذلك "محمد العبد"، يقول: هناك "انتقال اللفظ من حقله الدلالي المعروف له في الأصل الاستخدام إلى حقل دلالي آخر (...) [إقامة] علاقة دلالية جديدة من نوع التضاد أو التخالف لغاية انتقادية".[2]

يتحدث الشاعر هنا عن النيل، أو شاطئ النيل، ومنظره الجميل، وهدوئه حتى أن الفلك نامت على هذا الشاطئ آمنة، لدرجة أن النيل سباها، أي احتضن ظلها، فها هو النيل يسبي، والسّبي ليس من صفاته، وها هي الفلك تنام والنوم ليس من خصائصها، فالناظر بنظرة سطحية إلى هذه الأبيات يتصور أن المفارقة تمت فيما ذكرنا، أما حقيقة المفارقة الكامنة التي يجب أن يتنبه لها القارئ الذكي

(١) الديوان ، صـ٢٦١ ، الرسالة ، س٧ ، ع٢٩١، صـ٢٠٢.
(٢) المفارقة القرآنية قراءة في بنية الدلالة – محمد العبد ، القاهرة – مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠٠٦م، صـ٥٥.

هي أنه يريد من الناس أن يثبتوا ويصمدوا ويظلوا في هدوء كما هو حال نيلهم.

وليكن في حسباننا أن الشاعر لا يُلقي هذا جذافًا، وإنما أراد من خلال مفارقته أن يسخر ممن أصيبوا بالرعب والرعونة من المستعمر، فيرجو منهم أن يثبتوا ويستقروا، بل يكونوا كالشراع مرفوعي الرأس لا يرضون الذل ولا الهوان. "فشعرية المفارقة تقوم – بشكل أساسي – على التضاد بين المعنى الظاهري والباطني، وكلما اشتد التضاد بينهما ازدادت حدة المفارقة وجمالياتها في النص".(١)

وقد ذكرنا سابقًا أن المفارقة اللفظية تنشأ من "كون "الدال" يؤدي "مدلولين" نقيضين: الأول: مدلول حرفي ظاهر، والثاني: مدلول سياقي خفي".(٢)

وهذا ما حدث هنا في هذه المفارقة، حيث توجد مفارقة ظاهرية، وأخرى خفية لا يفطن إليها إلا الذكي الفطن، صاحب العقلية المتوقدة.

ومن ذلك أيضًا قوله :

يا حالًا أغراه طيب الكرى ∴ أبشر مع الصبح بسوء العذاب".(٣)

واضح جلي أن اللفظ (أبشر) إنما يستخدم في حالات السرور والسعادة، وهذا هو حقله الدلالي الطبيعي، أما كونه يكون مبشرًا بسوء العذاب فهنا انتقل من حقله الدلالي إلى حقل آخر، فالمتلقي أو ما تقع عينه إذا كان يقرأ، أو تسمع أذنه إذا كان يسمع من غيره للفظة "أبشر" يتهيأ لشيء يمنح السعادة والسرور، ثم يفاجأ بأن الأمر على غير ما هو متوقع، لدرجة أن يصاب بالدهشة، وهذا ما تود المفارقة تحقيقه.

ب : مفارقة المدح بما يشبه الذم ، والذم بما يشبه المدح :

هذا الباب يُعدّ من أبواب البديع، كما هو ثابت في كتب البلاغة، والمفارقة تصنع فيه عن طريق صانعها الذي يقول كلامًا في ظاهره يدل على أنه يذم، وهو

(١)تأويل الخطاب الشعري النظرية والتطبيق، إبراهيم الزرزموني، صـ١٤٧، مرجع سابق.
(٢) المفارقة والأدب – دراسات في النظرية والتطبيق – خالد سليمان، عمان – دار الشروق، ١٩٩٩م، صـ٢٦.
(٣) الديوان ، صـ١٤٥، الرسالة ، س١٦، ع٧٥٧، ١٩٤٨/١/٥م، صـ٢٤ : ٢٥.

في الحقيقة يقصد المدح، وكذلك يذكر كلامًا في ظاهره الذم لكنه يقصد المدح، فصانع المفارقة في هذه الحالة يدّعي الجهل، أو قل إن شئت يتصنع الغفلة؛ لأن المفارقة عند الشاعر الحديث تختلف عنها عند القديم؛ ف"صاحب المفارقة الحديث يُخادع، أو يتظاهر لا لكي يُوثق به، ولكن لكي يُفهم".(١)

يقول "الخفيف":

هذا الرئيس وأنت من أعوانه هل جاز في حكم الرئيس إسار
أحرى بمن فك القيود من الحمى ومن استجاب له الشبول فثاروا
ألا يكون لأي قيد عنده إلا الضمير وقيده إقرار" (٢)

هذه الأبيات تؤكد لنا ما ذكرناه سابقًا من أن "الخفيف" لا يميل إلى مدح الحكام، هذا من ناحية، أما البيت الثالث فيؤكد لنا المفارقة، فإن المعنى الظاهر يكون، ليس هناك قيد على الرئيس إلا قيد كذا، كذا، فالقارئ هنا قد فوجئ بما لا يتوقعه، حيث يتحدث الشاعر عن ظلم وقع على الناس أقله الأسر المعنوي والفكري، فكان المفروض أن يستثني لهذا القيد أشياء كما قلنا من مثل: إلا الحرية، وهو الأمر الطبيعي الذي يتناسب مع الإسار، إلا أنه يفاجئنا بقوله "إلا الضمير"، وهنا تكمن المفارقة حيث المراوغة والتلاعب بالألفاظ من قِبل صانع المفارقة، التي تحتاج إلى قارئ متمرس فطن، لا يقبل الخُدعة الماكرة، أما القارئ البسيط فهو الذي يقع ضحية لهذه المفارقة. فالقارئ عليه ألا يتصور أن الشاعر هنا يمدح الرئيس، وإنما هو يذمه في صيغة ظاهرها المدح؛ لأن هذا الرئيس يفعل كل القيود إلا قيد الضمير.

وعندما يقول : –

إن الجواهر لا تبين أصولها إلا إذا حميت عليها النار"(٣)

القراءة السطحية لهذا البيت، تقول بأن الشاعر يذم هذه الجواهر، وهذا ما

(١) المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك، موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة – بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سنة ١٩٩٣م، صـ١٦٦.
(٢) الديوان ، صـ٢٣٩ .
(٣) الديوان ، صـ٢٣٩.

يُفهم من ظاهر الكلام، إلا أن الحقيقة والمعنى الخفي غير ذلك تمامًا؛ لأن القارئ توقع أن يُقال له مثلاً إن الجواهر لا تظهر قيمتها وأصولها إلا إذا لبسها أولاد الذوات مثلاً، إلا أنه يفاجأ بحقيقة واقعية، لكنها غائبة عن ذهنه فاجأه بها الشاعر، وهي أن هذه الجواهر بالطبع لا تظهر جودتها وجمال لونها وقيمتها، إلا إذا حميت عليها النار، لكنّي أسأل القارئ: هل وقف فهمك عند هذا المعنى الذي ذكرت لك؟ وللإجابة على ذلك أقول: إن صانع المفارقة يدّعي الجهل وعدم المعرفة ليترك المجال للقارئ يعبّر كيف يشاء حتى يصل للمعنى المراد، فالقارئ الذي يقف عند هذا الحد دخل في دائرة الجهل وعدم المعرفة؛ لأن المعنى الحقيقي والخفي الذي يريده صانع المفارقة، هو أن الشعوب إذا أرادت التحرر من القيود، ومن الظلم الواقع عليها من المستعمر، فلا أقل من أن تفعل مثل الذهب الذي تظهر قيمته عندما يوضع في النار، فعلى الشعوب أن تخوض غمار الحرب، غمار الدفاع عن الكرامة، حتى وإن اكتوت بالنار طلبًا للحرية، ودفاعًا عن الكرامة.

إن المفارقة عند الشاعر الحديث، تختلف في كثير من الأمور عنها عند الشاعر القديم، حيث إنها حديثًا لا تعتمد على المفارقة اللفظية، وإنما يمكن أن يفهم الذم مثلاً أو المدح من خلال المعنى الكلي للأبيات، مثلاً عندما يقول "الخفيف":-

نافسوا الطامعين بالجد وامضوا قد كفانا تصايحًا واعتصابا
لا تقولوا ضيوفنا بعد هذا أسمعتم عواءهم والسبابا؟
نحن أولى إذا أردتم ملاما فاصرفوا اللوم عنهمو والعتابا
وأهيبوا بقومكم أن أفيقوا
أن للمحسنين منكم ثوابا
قد سئمنا ترددًا ونكولاً وخنوعًا وغفلة وارتيابا "[1]

عندما تقرأ الأبيات قد تفهم من الظاهر أنه يمدح أبناء الوطن من خلال

(١) الديوان ، صـ١٥٣ ، الرسالة ، س٢ ، ع٣٠، صـ١٨٧ : ١٨٨.

دعوته لهم للمنافسة، لكن الحقيقة غير ذلك تمامًا، فبداية أبياته بالأسلوب الإنشائي المتمثل في الأمر "تنافسوا" ،وكذلك النهي "لا تقولوا"، وذلك ليقطع الطريق على المتفلسفين الذين لا يملكون إلا الكلام، وادعاء النخوة، وذلك واضح "لا تقولوا ضيوفنا"، يقطع عليهم طريق المخادعة الكاذبة التي يلقون بها على أسماع الناس، في حين أن حقيقتها جبن وخوف، مما دعاه أن يقول لهم: ألم تسمعوا عواءهم وسبابهم يا من تدّعون الفضيلة، وهذا تعليل لقوله: (نافسوا – لا تفعلوا)؛ لأننا سئمنا النكول والخضوع، نلاحظ أيضًا استخدام الشاعر لضمير الجمع (نافسوا) يوحي بكثرة الخاضعين السائمين، وكذلك (تقولوا – ضيوفنا – نحن – سئمنا) توحي لنا بأن المجتمع بأكمله يشترك في هذه الجريمة ،جريمة القبول والرضا بما يفعل المستعمر.

الجمل الفعلية التى ذكرناها تدل على سلبية المجتمع في هذا الوقت وعجزه وتراجعه؛ لذا نجد الشاعر يدعوهم إلى التحرك من هذا الثبات العميق الذي لا يجلب من ورائه إلا الذلة والمهانة، فالظالمون وأعوانهم كُثر، فعليكم أن تنتبهوا.

النظرة البسيطة تقتضي القول بأن الشاعر يدعو المجتمع في حب ووداعة إلى التحرك، وكأنه يدعوهم في صيغة ظاهرها المدح، إلا أن الحقيقة غير ذلك، فهو يؤكد على ظلم المستعمر لأبناء الوطن، كما يؤكد في نفس الوقت على أن سبب ذلك هو المجتمع نفسه الذي رضي الذل والهوان، وقَبِل بما يُفرض عليه من المعتدي، وهنا تكمن المفارقة، ويكمن خداع القارئ الذي تقف حدوده عند المعنى الظاهر.

يقول في قصيدته (عيد الجهاد):

تطوف بكعبة الوادي خفافًا ولا تبغي عن الركن ارتحالا[1]

من ينظر إلى ظاهر البيت يجد أنه يمدح هذا العيد؛ لأنه يطوف البيت في خفة ورشاقة، إلا أن القارئ ينتظر أن يسمع ما يشين ذلك بعد أداة الاستثناء، لكنه يفاجأ بمدحٍ آخر، هو أن هذا العيد لا يرغب في مفارقة المكان المبارك، وهو ما

(١) الديوان ، صـ٨٧ ، الرسالة ، س٢ ، ع٧٢، صـ١٩١٠.

أصاب القارئ بالدهشة والمفاجأة، وتلك هي قيمة مفارقة تأكيد المدح بما يشبه الذم. علنا نكون نجحنا في توضيح أمر هذا النوع من المفارقات.

جـ : مفارقة السخرية :

أصبحت السخرية صاحبة شأن في مجال الشعر الحديث؛ لأنها تعدّت المفهوم الواحد إلى عدة تأويلات من ناحية الجوهر والمضمون، والسخرية في اللغة: "سخرت منه وسخرت به، وضحكت منه وضحكت به، وهزئت منه وهزئت به".(١)

فالسخرية كما ذكرنا لم تعد المفهوم المعروف لدى كثيرين، إنما تعدت المفهوم اللغوي الذي يقف عند السخرية والاستهزاء والضحك، وأصبحت تقوم بدور اجتماعي هادف، إلا أن القالب الموضوعة فيه يكون هزليًّا ساخرًا، لكن هدفه قد اختلف تمامًا، حيث أصبح يرمي إلى فضح وكشف العيوب المجتمعية، وكشف من يقومون بأفعالٍ من شأنها أن تعوق تقدم المجتمعات.

علينا أن نتنبه لأمر هام، هو أن السخرية عندما تقترب من المفارقة، تصبح الوظيفة مختلفة، تقول إحدى الناقدات: "إذا كانت السخرية تبدو أنها قريبة من المفارقة فإنها تبتعد عنها بالنسبة لوظيفتها وموقفها من الضحية".(٢)

فمفارقة السخرية " تُبنى على موقف يناقض ما ينتظر فعله تمامًا، إذ يأتي الفعل مغايرًا للوجهة التي يجدر بالإنسان أن يقوم بها".(٣) كما أن هناك فرقًا بين السخرية والهجاء "هو أن الهجاء سخرية هجومية ومعاييره الأخلاقية واضحة نسبيًا، وهو يقيم مستويات يقيس بموجبها ما هو سخيف أو يثير الاشمئزاز. والسباب الخالص أو الشتائم هجاء يكاد يخلو من السخرية، لكن عندما تساور القارئ الشكوك حول اتجاه المؤلف أو حول ما ينبغي أن يكون اتجاهه هو من

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (سخر) – القاهرة – دار المعارف – د.ت.
(٢) المفارقة – نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، ع٣، ٤ /أبريل/سبتمبر/سنة ١٩٨٧م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج٧، صـ١٣٧.
(٣) فضاءات الشعرية – الرواشدة، سامح – عمان – المركز القومي للنشر، ١٩٩٩م، صـ١٨.

الناحية الثانية، فإننا نحصل على سخرية تكاد تخلو من الهجاء".[1]

بعد هذا التوضيح نتجه إلى التطبيق على بعض الأبيات التي تمثل السخرية.

يقول الشاعر في قصيدة (لو تكلم الفلاح) : –

" أشقى ليبني بشقائي الغَنِي ... والجاه، بانٍ، كم رمتني يداه

أعيش من عجمائه أوضَعَا ... يا ليت لي من فِكره موضعا

للثور ضِعفٌ إن ذكرتُ الذي ... أعطاه أجرًا ساء شرع الطغاه!

حماره في سرج من حرير ... وبيننا في الرزق فرق كبير

وكلبُه، لو أن بعض الذي ... يحظى به حظًى جهلت الشكاه

ضنيت حتى ما عرفت الضنى ... والوت طبى بعد طول العنا

يا قومُ إني جئت من آدم ... ما لي بهذا الكون جَدّ سواه " [2]

روح المفارقة في الأبيات السابقة يبدأ من عنوان القصيدة (لو تكلم الفلاح)، وهي تدل على أن الفلاح لم يتمكن من الحديث عن حاله التي تدل على ازدرائه من حكام المجتمع، يؤكد لنا أنه ما زال في عهد الاستعمار؛ لأنه يرى أنه سخرة عند الغني، هو يكد ويعمل، والغني يتمتع بما يعمل، لا يجنى ثمار ما تعمل يداه. إن الشاعر هنا يقرأ مكنون نفس الفلاح، ويحذر المجتمع من اضطهاده؛ لأن في ذلك عاقبة وخيمة على الجميع، تظهر المفارقة الساخرة وتتضح في قدرة شاعرنا على الوقوف على الجراح، وإظهار العيوب المجتمعية، فهو يعطي لنا ابتسامة تخفي خلفها مرارًا وعلقمًا، إن الشاعر من خلال محاولاته المُضنية أعطى لنا تصورًا لفئة مجتمعية تشقى لينعم الآخرون، هذه الفئة لا يعتني بها أحد، بل ازدادت المفارقة الساخرة حدة عندما أكد لنا تمنيه أن لو وصل حتى إلى أجر الثور الذي يحرث ويسقي، وتبدو بلاغة المفارقة الساخرة في تضخيم عيوب

(١) تشريح النقد محاولات أربع، نورثرب فراي، ترجمة: محمد عصفور – عمان – منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٩١م، صـ٢٨٨.

(٢) الديوان ، صـ١١٤–١١٥ ، الرسالة ، ع٤١٢ ، ١٩٤١/٥/٢٦م، س ٩ ، صـ٧١٠.

المجتمع، وإظهار الجوانب التي يسخر منها الشاعر من خلال لغته التهكمية اللاذعة التي قد تثير الضحك، إلا أنها مليئة بالمرارة، ونجد الشاعر وقد ادّعى الغفلة في سخريته من الواقع المؤلم، فيقول: حمار الغني في سرج من حرير، ويا سعادة من حَظيَّ بما يحظى به كلب الغني، واستمر في سخريته حتى وصل إلى درجة أن هذا الفلاح ليس له علاج في هذا المجتمع إلا الموت، فكما نرى ظاهر المفارقة مضحكاً، وباطنها السخرية من الأمور العجيبة، فالمفارقة الساخرة سلاحٌ فتّاك يستخدمه الشعراء دفاعًا عن حقوق المظلومين والمضطهدين من قِبل الساسة في المجتمعات، أي يناقش الشاعر ظاهرة اجتماعية يندى لها الجبين.

عرفنا سابقًا أن هناك فرقًا بين الهجاء والسخرية، كذلك يوجد فرق بين المفارقة والهجاء، هو " أن الفرق الأساسي بين المفارقة والهجاء، بالمعنى الأوسع لكل منهما، ربما يكون ببساطة أن المفارقة تتعامل مع اللامعقول، بينما يتعامل الهجاء مع السخيف، من الممكن أن نأخذ اللامعقول على أنه يرمز إلى ما في الأشياء من خداع خرافي لا شفاء منه، بينما يمكن فهم السُّخف على أنه يمثل عيوب الحياة التي من الممكن تقويمها".(١)

لو نظرنا إلى الواقع نجد فيه الكثير من مفارقات السخرية، وذلك لأن السخرية موجودة معنا في حياتنا اليومية، وفي معاملات الناس مع بعضهم البعض، مما يهيئ للشاعر الفرصة الكاملة في استخدام كاميرته لالتقاط صور المفارقة التي قد لا يلحظها غيره بنفس ملاحظته؛ لأنه يستطيع أن يرسم صورًا لما يلتقط يتميز فيها ،لأنه مبدع في الأساس، كما أنه يستطيع أن يجعل ما هو متداول في حياتنا اليومية إلى لغة محملة بالدلالات المتنوعة لما يقول، يقول "محمود الخفيف" في قصيدة "وداع":-

" تحيرت ماذا أثار الجواد ولاح لي الهول في وثبه
أذالك دأب كرام الجياد إذا الرّوع أعلن عن قربه؟

(١) "عناصر المفارقة" – محمود خضر خربطلي، خالد سليمان،. مجلة كلية الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، ع٩٣، شتاء سنة ١٩٩٧م، صـ١٣٨.

أم اهتـــاج ممـــا يـــرى حولـــه فجُـــنَّ بمـــا لجَّ في جنبـــه؟
معـــان يصـــفن لقلـــبي العـــذاب ويمـــلأن نفســـي مـــن رعبـــه " [1]

فهذا منظر مشاهد في حياتنا، لكن الشاعر هنا يصف جواد الفارس الـذي يخوض غمار الحرب، فالفرس رأى في الأفق خطرًا يلوح أدى به للقيـام بهـذه الحركة اللاإرادية التي لا يقوم بها إلا كل صاحب نخوة من البشر، أو التي يقـوم بها الجياد كما وصفهم الشاعر، فالشاعر في حيرة من أمره، حيث يصدّر لنا جهله بالأمور، مدّعيًا أنه لا يعرف لِمَ قام الفرس بهذا الفعل، مع أنه يعلم تمامًـا سـبب ذلك، إلا أنه – وكما قلنا – يترك الأمر للمتلقي الذي غالبًـا مـا يكـون ضـحية المفارقات، ولكنه ما لبث أن لمّح لنا بالإجابة من خلال البيت الأخير، حيث ذكر أن هذا المنظر أو المشهد جدد العذاب في نفسه، بل ملأها رعبًا، لأن في الأفق شـيئًا ما يلوّح بالخطورة، بل الخطورة وقعت فعلاً من خلال قول الشاعر (أم اهتاج مما يرى حوله)؛ مما يؤكد أن هناك أحوالاً سيئة في المجتمع لم يطقها الحيوان، فكيف بك أيها الإنسان ترضي الذل والهوان دون أن تثب تلك الوثبة الأخاذة؛ دفاعًا عن كرامتك وحياتك، فالمفارقة الساخرة هنا تكمن في المنظر الذي يمكن أن نضـحك عند مشاهدته، إلا أن الشاعر في نفس الوقت يُلقي بلومه علـى النـاس؛ لأنهـم وافقوا ورضوا بما يحدث لهم من المستعمر من بطش وظلم وجبروت.

بنظرة مركزة في الأبيات السابقة يمكنني أن أقول: إن الشاعر بلـغ هـذه الدرجة من السخرية، بعد أن فقد الأمل في الناس؛ لأنهم لم يأخذوا موقفًـا مـن الأحداث المحدقة بهم، وبذلك خرج الشاعر بموقفه من الضحك وهو أمر ظـاهري إلى الألم والعذاب والرعب الذي أصابه وهو أمر معنوي، فالمشـهد وإن أضـحك البعض، إلا أنه كان كارثياً على الشاعر. فالمفارقة تبحث في المعنى أكثـر ممـا تبحث في الظاهر، والمعنى في المفارقة "لا يزيد عن كونه غيـر صـريح، أو لا يُقصد له أن يُفهم بشكل مباشر".[2]

(١) الديوان ، ص١٣٣ ، الرسالة ، س٧،ع ٣٢٧، ١٩/١٠/١٩٣٩م، صـ١٩٤٤ – ١٩٤٦.
(٢) المفارقة ، دي سي ميويك، موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة – بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م، صـ١٦٦.

هنا يتضح لنا أن مفارقة السخرية قد فارقت المعهود عنها في أذهان بعض الناس، حيث يتصورون أنها وضعت للضحك، وهذا على غير الحقيقة؛ إذ لها موقف مؤثر في مراقبة المجتمع، ومحاولة تصحيح أوضاعه، وتقييم المعوج منها.

د - مفارقة الإنكار : -

مفارقة الإنكار نوع من أنواع المفارقة اللفظية، إلا أن لها سمة تميّزها عن بقية المفارقات اللفظية، وهي أن الشاعر يحتاج فيها إلى صيغة السؤال، أو يأتي بها من خلال الأسئلة التي يطرحها، أما تعريفها فهي: "منحى يفيض بالسخرية، لكنه يتوسل بالسؤال لإظهار السخرية والإنكار لما يتحقق، والفرق بين مفارقة السخرية ومفارقة الإنكار أنّ النمط الأول يعتمد اللغة الخبرية، في حين أن النمط الثاني يستخدم لغة الإنشاء، وهذا المنحى يثير التساؤل للغرابة، ولحجم المفارقة التي يكتنفها الموقف".[1]، يقول الشاعر في قصيدة "بين الشرق والغرب": –

" كم تفاخرتم بعلم وذكاء وسخرتم من خيال الشعراء؟
ضاق وجه الأرض عن همتكم فتلاقيتم على متن الهواء!
ليت شعري هل تبادلتم سلاما أم ملأتم جانب الجو خصاما؟
هل أفاد العلم إلا فتنة وغرورًا يبعث الموت الزؤاما؟
حسبكم في الفخر ما أجريتمو من دموع وأرقتم من دماء! " [2]

إن الشاعر منذ العصر الجاهلي له أهميته الكبرى، فإن كان في الجاهلية لسان القبيلة، فهو في العصور المتلاحقة، خاصة الحديث منها، يُعد لسان المجتمع، وضمير الأمة، فعندما يعرض لأمر من الأمور لا لشيء إلا لأنه على وعي تام بما يدور في مجتمعه، ولذا نرى صوته مرتفعًا مجاهرًا برأيه دون رهبة،

(١) إشكالية التلقي والتأويل – الرواشدة ، سامح ، عمان – منشورات أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠١م، صـ٢٠.
(٢) الديوان ، صـ١٤٥ ، الرسالة ، ع٩٣ ، ١٩٣٥/٤/٥م، صـ٦٣١ ، ٦٣٢.

لا محرك له سوى ضميره، فشاعرنا هنا يوجه أسئلته إلى أهل الغرب خاصة العلماء منهم، كيف تفتخرون بالعلم والذكاء، في الوقت الذي تسخرون منه بالشعراء، ثم يتعجب من أمر تركهم للأرض وانطلاقهم في متن الهواء، وأظنه يقصد الصعود إلى سطح القمر، ثم يسألهم سؤالاً يدل على أنهم بعد أن خربوا الأرض ونشروا فيها الكراهية نتيجة لاستعمارهم البلاد، ونشر الفساد فيها، هل فعلتم ذلك أيضًا في الجو؟، وفي النهاية يُبلغهم بوجهة نظره التي تمثل وجهة نظر الكثير من الشرقيين، ماذا أفاد علمكم؟ إن علمكم لم يجلب إلا الدمار والخراب، والفتنة والخصام، بل وجلب الموت الزؤام؛ لأن تقدمكم سخرتموه في صنع الأسلحة المدمرة للبشرية، فمن أين يحلو لنا تقديركم، مع أنكم استكثرتم ذلك على الشعراء الذين يسرحون بخيالهم دون إيذاء لأحد. فإن كان قد وجه حديثه في الفقرة إلى علماء الغرب، فإن القصيدة بأكملها تتعاون في إبراز المفارقات الصغرى، فهناك مفارقة بين حال علماء الغرب، وشعراء الشرق، وأيضًا بين حال الغرب في الأرض، رحالهم في الهواء، وبين تمنيه أن لو نشروا السلام في الأرض، بدلاً من أن يملئوا الجو خصامًا، وأخيرًا بين عدم الفائدة من علمهم، وجلبه الموت للناس. هذا ولقد بدأ الشاعر بعلماء الغرب، وذلك لأنهم السبب في كل ما يحدث للبشرية، فأنتم الذين استعمرتم البلاد الحرة؛ فأنتم السبب في ذلك بسبب تسخير علمكم لصنع كل ما يضر بالبشرية وفيه عذاب العباد. فإن كشف هذا الطرح الشعري عن شيء، إنما يكشف عن عذابات شاعرنا الذي ينظر في حال أمته ومجتمعه فإذا به يجد كل ما يسبب له الآلام والعذابات، فهو يرصد ما يدور في مجتمعه لأنه المعبر عن آلام وأحلام هذا المجتمع – أي الشاعر – عامة، ويستحضر شاعرنا من خلال ثقافته الدينية قول الله تعالى: (ضاقت عليهم الأرض بما رحبت).[1] فهم يفرحون بعلمهم الذي وصلوا من خلاله إلى سطح القمر في حين أنهم يبحثوا عن كيفية جديدة تجعلهم أكثر سيطرة على العالم.

كما شاهدنا غالبًا ما تكون المفارقات اللفظية هجومية في معانيها، لكنها

(١) من الآية " ١١٨ " ، سورة التوبة.

تدل دلالات مباشرة دون غموض أو خفاء، ومن خلال ذلك شاهدنا "الخفيف" ومدى اهتمامه بقضايا وطنه وأمته، وهو ما جعله يتمكن من رصد المفارقات المعبرة عما يشعر به في ذاته، وذلك ما تأكد لنا في البيت الذي تعجب فيه من حال الغربيين الذين يفتخرون بإنجازاتهم التي جرّت الوبال والدمار على العالم، في حين ينكرون على العرب حتى الأحلام، وفي هذا أيضًا إنكار لوضع العرب ورضائهم وخنوعهم من ضعف لا من قوة، فهم السبب الحقيقي في ذلك؛ لأنهم تكاسلوا في طلب العلم، ورضوا بالبلاهة رفيقًا لهم، رضوا بالبساطة والسذاجة، فكان هذا حالهم، غرب يتقدم حتى يصعّد القمر، وشرق يتقهقر يتغنى بأمجاد أجداده، ولقد وصلت المفارقة قمة المأساة عندما أكدت أن علوم الغرب هي التي أوصلت إلى الموت، فالمفارقة تصور الخدعة، إلا أنها لا تفسرها؛ لأنها تحمل مدلولات متعددة كما ذكرنا سابقًا.

مفارقة الموقف : -

هناك فرق كبير بين المفارقة اللفظية، ومفارقة الموقف، فالمفارقة اللفظية هي فن التضاد اللفظي، أما مفارقة الموقف فهي تطرح الأسئلة وتنتظر الإجابة عليها ، فإذا تحولت المفارقة اللفظية إلى مفارقة موقف، فإنما يكون تحولاً إلى فنية أعلى، وتعتمد مفارقة الموقف على قدرة الشاعر الشعورية، ومدى إحساسه بالأحداث، أو المواقف ليصورها بمنظور المفارقة، ثم يترك المتلقي وشأنه في القيام بعملية التحليل العميقة ليصل إلى المعنى العميق لا المعنى السطحي.

وهناك فرق كبير بين مفارقة الموقف، والمفارقة اللفظية، كما يوضحه لنا (دي سي ميويك) يقول: "فالمفارقة اللفظية لا بد من أن تتضمن وجود "صاحب المفارقة" (ironist) شخص يقوم بإحداث المفارقة، أو شخص ما يوظف تكنيكًا عن وعي وعن قصد متعمد. أما "مفارقة الموقف" الناتجة عن موقف ما، فإنها لا تتضمن بالضرورة وجود شخص يقوم بالمفارقة، لكنها مجرد حالة، أو ظرف، أو نتيجة لأحداث من شأنها أن تضيف إلى ذلك، ويتم رؤيتها والشعور بها كنتيجة للمفارقة. وفي كلا النوعين، المفارقة اللفظية ومفارقة الموقف، يوجد شكل من

أشكال المواجهة، أو المقابلة حيث يتم وضع شيء بجانب شيء آخر من الأشياء المتعارضة".[١]

يقول "الخفيف" من قصيدة (بين الشرق والغرب) : –

كم بلونا من أفانين العذاب ورأينا منكمو فتك الذئاب
كم فضحنا من طلاء خادع فوق ما تخفون من ظفر وناب!
تلك أعراض البلاء القاتل وعلامات الفناء العاجل
قد ذهلتم من مزايا جنسكم واغتررتم بحطام زائل
....
....
مالت الشمس إلى أفق المغيب وسيغشى أرضكم ليل قريب
قد تلفتّم إلى الخلف كما لو رأيتم شبح الليل الكئيب
هل فزعتم من دنو المنحدر فحننتم للصباح المنتظر؟
أم ترى أمنتمو بعد الجحود تؤمن النفس إذا الموت حضر "[٢]

يخاطب الشاعر في هذه الأبيات – الفقرة الأولى – الغرب وأهله، مبينًا لهم ومفنّدًا لما يلاقي أبناء البلاد منهم من صنوف العذاب المختلفة، وأنهم كالذئاب يأتونك خلسة دونما مواجهة مباشرة، فهم يعطونك من طرف اللسان حلاوة ويخبئون لك كل المصائب، وهذه الأفعال يؤكد لهم الشاعر أنها ستكون سببًا مباشرًا في فنائهم ، فلا تغتر أيها الغربي بهذا الحطام الزائل.

ثم تأتي المفارقة على لسان الشرقي الذي أحب بلاده، منبهًا ومحذرًا لهؤلاء الطغاة، بأن شمسهم ستغيب لا محالة، بل مالت بالفعل ناحية الغياب، وسيحل محلها الليل وليس أي ليل، إنه ليل كئيب، ثم أراد الشاعر أن يؤكد ما قال

(١) مفهوم المفارقة في النقد الغربي – على، نجاة مجلة نزوي، مؤسسة عمَّان للصحافة والنشر، ع٥٣، يناير ٢٠٠٨م، صـ٧١ .
www.nizwa.com/vohume ٥٣/dr٦.html
(٢) الديوان ، صـ١٤٥ ، ١٤٦ ، الرسالة ع٩٣ ، سابق .

سابقًا، وكأنه بدأ بالتحقق بالفعل، فيطرح سؤاله لهم (هل فزعتم من دنو المنحدر)؛ لذلك نراكم تحنون للصباح المنتظر، أم أمنتم بعد جحودكم، بأن النفس تؤمن ساعة أن يأتيها الموت، وأنتم كذلك بدأتم في التراجع والنظر إلى الخلف، لأنكم أيقنتم أن الشعوب ثائرة لا محالة، فلن تترككم تمرحون وتسرحون في أوطانها، لكنها ستزيلكم، بل ستزيل نهاركم ليصبح ليلاً، نكالاً لما قدمتم من فساد وظلم وخداع.

فالمفارقة حدثت من خلال الموقفين: موقف الغرب وأطماعه وخداعه، وموقف الشرق وأبنائه الثائرين الذين صمموا على جلاء المستعمر، بل القضاء على كل ما يفتخر ويتعالى به، فسوف يجعل نهاره ليلاً، وأرى أن المفارقة ظهرت على لسان الشاعر الذي يمثل بقوله أبناء مصر، بل أبناء الوطن العربي بأكمله.

المبحث الخامس :- ويشمل ما يأتي :

المفارقة الرومانسية : -

تُعرف المفارقة الرومانسية بأنها "مفارقة الفنان كامل الوعي، وهو لكي يكتب بشكل جيد يجب أن يكون مبدعًا وناقدًا معًا، ذاتيًا وموضوعيًا، متحمسًا وواقعيًا، عاطفيًا وعقلانيًا، ملهما بشكل واعٍ".(١)

علمًا بأن كاتب المفارقة الرومانسية يقوم "بخلق وهم (illusion) على شكل ما، وفجأة يقوم بتدمير هذا الوهم وتحطيمه من خلال انقلاب في النبرة أو الأسلوب، أو من خلال ملاحظة ذاتية سريعة وعابرة، أو من خلال فكرة عاطفية عنيفة ومناقضة".(٢)

يقول الشاعر في قصيدة "رجع أيامي" : –

كم حللنا على الضعاف مقيلا وعرفنا السكون لحنًا جميلا
واسترحنا هناك حتى ترامت رقعة الظل فانتهبنا الأصيلا

(١) المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك، مرجع سابق، صـ٣٣.
(٢) المفارقة والأدب – دراسات في النظرية والتطبيق – خالد سليمان ، عمان – دار الشروق، ١٩٩٩م– ص٧٥.

نجعـــل الصـــبح إن طلبنـــا الرَّواحـــا ... موعـــدًا نســـتعيد فيـــه المراحـــا
فترانـــا الريـــاض والصـــبح وســـنا ... ن ســـبقنا إلى الشـــروق الصـــباحا
انقضـــى الحلـــم في ظـــلال ورود ... أنـــا ذا اليـــوم أنقـــل الخطـــو وحـــدي
أوحشـــت جـــنتي وأضـــحت رؤاهـــا ... وشـــذاها البهـــيج مبعـــث وجـــدي
كـــم حـــوى اليـــوم كـــل وادٍ عشـــيب ... مـــن طيـــوف تلـــجُّ في تعـــذيبي
يوجـــع الـــنفس فيـــه مـــرأى خلـــيٍ ... ومحـــبٍ يُصـــغي بـــه لحبيـــب
قـــد تـــولى بعـــد الـــثلاثين عـــام ... فـــيم يـــا قلـــب هـــذه الأوهـــام؟!
أيهـــا القلـــب لم تعـــد بعـــد طفـــلاً ... فـيم تصـبو؟ هـل تنفـع الأحـلام؟ " [1]

يحدثنا الشاعر في هذه الأبيات عن قصة حب في ريعان شبابه، يحكيها لنا وقد بلغ سن الثلاثين، يحكيها ليخرج من واقعه المأزوم الذي وصل إليه في هـذا السن؛ لأنك إذا نظرت إلى رحلة الخفيف الحياتية، تجد أن سن الثلاثين نقطة فارقة في حياته، ففي هذا السن بدأت معاناته الحياتية؛ لأنه كتب كتابه عن عرابي قائـد الثورة العرابية، والذي رأى الشاعر أنه لم يأخذ حقه في الحياة، وهنـا غضـبت عليه الحكومة، بل وعملت على إغلاق المجلة التي بدأ فيها نشـر مقـالات هـذا الكتاب، فعودة الشاعر إلى الماضي الجميل هو ثورة على النفس ليخرج بها مـن أزمتها؛ ظنًّا منه بأنه يمكن أن يغيّر هذا الواقع المأزوم، ولكن هيهـات هيهـات، فمن عنى بأمور وطنه وأمته، صعب عليه أن يحيا حياة المرح، أو حياة لا كدّ فيها ولا تعب. أما إذا نظرنا إلى لغة الشاعر نجدها لغة مألوفة معروفة تصل إلى حـد البساطة، فلا تلقاك كلمة تشعر أنك تحتاج للبحث في القواميس العربيـة لتعـرف معناها، فهذه الكلمات مثل (الضفاف – اللحن – الحلم – الظلال – الأحلام ...الخ) ألفاظ واضحة جلية لا غموض فيها؛ لذا نجد الشاعر وقد استعان بموسيقى رنانة، فنجد (التصريع في أغلب الأبيات – تنوع القافية)، وتنوع القافية عند الخفيف أراه يعبر عن مشاعره الداخلية، فلقد استخدم ألف الإطلاق عندما كان يتحـدث عـن

(١) الديوان ، ص٣٦٠ ، الرسالة ، س٨ ، ع٣٥٢ ، ١٩٤٠/٤/٨م، صـ٦١٨.

رحلته مع المحبوبة قبل سن الثلاثين، ليؤكد على الحرية والراحة والمتعة وكل أمور السعادة التي كان يتمتع بها، فكانا كطائرين يطيران في الفضاء دون أن تحدهم حدود، أو تقف في طريقهم سدود، أما في الفقرة الثانية والتي يمثل فيها الفراق، وأنه كان يرى كما يرى النائم فاستخدم حرف الروي المكسور (وحدي – وجدي – حبيب – الأوهام – الأحلام)، وذلك ليعبر عن كبته، وكسرة نفسه، وحزنه على ما وصل إليه الأمر بالنسبة له، والمفارقة هنا كما أرها تتمثل في تصويره لفترة الشباب حيث المتعة والرخاء، بل قل حيث وجود الثوار الذين يقاومون المعتدي، وبين الفترة الثانية والتي يتألم فيها لما وصل إليه قومه وأبناء شعبه من الخضوع، وذلة ومهانة، محفزًا إياهم بالتحرك قدمًا إلى الأمام، والمفارقة الرومانسية "تبدأ ببنية تحمل في طياتها ما يوهم القارئ بإيجابيات الواقع ويفتح أمامه نافذة للأمل تتسع باطراد، وما أن تقترب القصيدة من نهايتها حتى تتغير اللهجة، وتتبدل المعطيات، وتختلف حقول الدلالة لينتهي النص بقفلة تحمل كل معاني الألم والمكابرة والانكسار".(١)

وهكذا ، فبعد أن عشنا مع الشاعر فترة الراحة والهناءة، وصدّقنا أننا قد تغيّر حالنا بالفعل ووجد من يدافع عنّا ضد الطغاة البغاة؛ إذ بنا فجأة نجد أنفسنا لا نفارق أماكننا، وما كنا وكان فيه الشاعر لا يبرح أن يكون أحلامًا تعبّر عمّا يشعر به الشاعر وما يأمله، وهذا الأمل ممدود أيضًا إلى الشعب، حيث الشاعر يتكلم بلسان الشعب، بل ويعبّر عن مدى الإحساس الأليم الذي تحياه الأمة بأكملها، فكل ما يرجوه الشاعر هو تغيير الصورة القاتمة التي يعيشها الناس؛ لتعود إلى صورتها القديمة المتمثلة في الحرية والحب والغرام، ولحظات السعادة، إنها دعوة لتغيير المجتمع بأكمله.

المفارقة الدرامية : -

تختلف المفارقة الدرامية عن غيرها من المفارقات في كونها تعتمد على

(١) المفارقة في الشعر العربي الحديث – شبانه ، ناصر ، بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م، صـ١٥١.

بنية العمل، لا على بنية الكلمات، ومدى ارتباط بعضها البعض، ولذا "ارتبطت هذه المفارقة – أساسًا – بالمسرح، وكانت تسمى أحيانًا "مفارقة سوفوكليس" (irony Sophocles) نسبة إلى هذا المسرحي اليوناني العظيم".(١)

وتتحقق هذه المفارقة "من خلال وعي الجمهور بالمصير المجهول والمحزن الذي ستؤول إليه الشخصيات من حيث لا تعلم هي بمصيرها، فتسقط ضحية المفارقة".(٢)

والمفارقة الدرامية تأتي من "موقف شعوري مرتبط بالنص، وهي تختلف عن القناع والرمز في أنها آنية الصنع وليست سابقة التجهيز مُقولْبة، وهي تدل على عمق النظرة، واستيعاب الذات لما يحدث حولها".(٣)

يقول "محمود الخفيف" في قصيدة "فارس وفارس" : –

" دعا وتقدم تحت السهام	بيمناه صمصامه الهائل
تحدى الرَّدى ومشى تحته	فما إن تصدى له صائل
يهزهز في النقع إفرندَه	فيومض عاليه والسافل
مضى معضباً خلفه جنده	يُفرِّع ذاك وذا يضرب
يجندل كل فتى من عداه	وما كلَّ من سيفه المَضربُ
له وثبة الأسد ، صمصامه	كما انقضَّ في الحلكة الكوكبُ
وطاش الكماة جنود صلاحٍ	وطاب لهم في الوغى المهرب "(٤)

في هذه القصيدة يتحدث الشاعر عن فارسين: أحدهما غربي، والآخر شرقي، فالفارس الغربي "ريكرد" بغروره القاتل أخذ يحفز جنوده للقتال، مبينًا لهم

(١) المفارقة والأدب – دراسات في النظرية والتطبيق – سليمان ، خالد ، عمان – دار الشروق، ١٩٩٩م، صـ٢٩.

(٢) الموسوعة البريطانية الحديثة، ج٦، صـ٣٩٠، نقلاً عن: شبانة، ناصر – المفارقة في الشعر العربي الحديث – بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م، صـ٦٧.

(٣) تأويل الخطاب الشعري – النظرية والتطبيق، إبراهيم الزرزموني، مكتبة الآداب، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، صـ١٥٩.

(٤) الديوان ، ص١٥٩ ، الرسالة ، س٩ ، ع٤٠٠ ، ١٩٤١/٤/٧م، صـ٢٤٥ : ٢٤٨.

أن صيدهم سهل ضعيف، وهو لا يدري عاقبة الأمور، حتى أنه أخذ يضرب كل من تأخر أو تكاسل منهم، فبدلاً من أن يكون صادقًا معهم فينصحهم بالتريث والحكمة، ويأخذ بأيديهم محاولاً النجاة من الموت، نجد أنه ضللهم ودعاهم إلى طريق الموت، مبينًا لهم أن نصرهم لا محالة منه، وفجأة يرى من الهول ما لم يرَ من قَبل، حتى وصل الحال بالجنود أن يفرّوا من الميدان، لما رأوا من صرامة وصلابة وقوة في عدوهم، ويتضح لنا في هذا الموقف أمور ثلاثة:-

أولاً : شخصية المخادع .. يمثلها ذلك القائد .

ثانيًا : شخصية ضحية المفارقة .. يمثلها الجنود المقاتلون.

ثالثًا : شخصية الجماهير .. وهي تعلم علم اليقين أن هذا القائد كاذب.

ويتضح صدق توقع الجمهور في نهاية الموقف ، يقول الشاعر : -

" وأرسل ريكارد يدعوا صلاحًا إلى السلم حين توافى الأمل
يقول: لقيت هنا مُشبهي وأحببت في الشرق هذا البطل
ولبَّى ابن أيوب عالي الجبين عليه من المجد أضفى الحلل"[1]

وهنا يظهر الخزي والانكسار لذلك الفارس المغرور المتغطرس، والذي يشبه كثيرين من القواد وأصحاب الرعونة، الذين لا يملكون الحكمة في تصرفاتهم، نظرًا لحماقتهم التي لا يجب أن تتوفر في العسكريين بالذات، فها هو المصير المحتوم الذي لاقاه، حتى أنه طلب الصلح في النهاية ليحمي ماء وجهه، ووافق الفارس العربي موافقة السامقين برؤوسهم في عنان السماء رحمة واستعطافًا به، وهو يلبس أحلى الحلل وأضافها، وهي حلة النصر والحفاظ على الكرامة العربية.

المفارقة الدرامية تكاد تكون قليلة محصورة عند شاعرنا؛ ذلك لأن أهميتها تكون في المسرح، لكنها "لا تقتصر بالطبع على الدراما، فقد ترد في الملاحم والشعر القصصي، وهي تقوم على جهل الضحية بالموقف الذي هي فيه، وتبدو أبلغ أثرًا عندما لا يكون المتلقي وحسب، بل شخص آخر في التمثيلية أو

(١) الديوان ، صـ١٥٩.

القصة، على وعيٍ بجهل الضحية".[١]

أما قيمتها، فهي تعمل" على توفير التشويق المفعم بالحيوية لمعرفة ما وراء الموقف، والبواعث في وضع يتصف بالتناقض، بحيث يجبر المتلقي على إعطاء كل موقف حقه من التعاطف والتساؤل، في الوقت الذي تدرك فيه أنه ليس من قوة بإمكانها أن توفق بين الموقفين المتناقضين".[٢]

المفارقة التصويرية : -

تكون المفارقة التصويرية بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التضاد، يقول أحد النقاد: هي "تكنيك فني، يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض، وقد يمتد هذا التناقض ليشمل القصيدة بأكملها، ليس في جملة أو بيت كما في الطباق والمقابلة، ويرى أن التناقض في المفارقة التصويرية فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان ينبغي أن تتفق وتتماثل".[٣]

يقول "محمود الخفيف" في قصيدة "من نشيد الحرية":-

" بالشرق غنيت وقد هزني ... وألهم الأسجاع قيثاريه

تعضني الأغلال لكنني ... لا تعرف الأغلال أوتاريه

الحاضر المغلوب لم ينسني ... روحًا به خالدة أيقظت

بعد سبات حالك ، دهره

منًى بها رقرقت أشعاريه

والغرب كم في أفقه كوكب ... في ظلمات أطبقت ، أو مضا

يرقبه المدلج إذ يطلب ... هدى له في الدهر ممن مضى

(١) المفارقة وصفاتها – ميويك، موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة – بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣، صـ١٠٢.

(٢) المفارقة والأدب – دراسات في النظرية والتطبيق – سليمان ، خالد –عمّان – دار الشروق، ١٩٩٩م، صـ٣٦.

(٣) عن بناء القصيدة العربية الحديث – زايد ، علي عشري ، القاهرة – مكتبة النصر، ط٣، ١٩٩٣م، صـ١٤٧.

لـــــولاهم اســـــتوحش إذ يضـــــرب في فلـــــوات شـــــد مـــــا أوحـــــش
والعـــــيش داج حولـــــه عـــــابس والـــدهر كـــم مـــن أمـــل قوضـــا " [1]

يتحدث الشاعر في هذه المفارقة عن الشرق، والغرب، فها هو الشـــرقي أصبح لا يملك إلا الغناء، مع أن الأغلال تعض يديه، لكنها لا تستطيع أن تمنعـــه من حدائه لنفسه التي يريد تسليتها حتى تنسى ما وقع عليها؛ لأن الأغـــلال لـــن تعرف الطريق إلى أوتاره؛ إذن هو حي طالما الأوتار سليمة، فها هو الشرق فـــي ثبات عميق، بينما الغرب يعلوه كوكب مضيء، مع أن الظلمات تحيط بغيره، وكل من يطلب الهدى، أو يطلب التقدم يتجه بنظره إلى الغرب، فـــالعيش هنـــاك رغـــد وسعادة، في حين أنه في بلاد الشرق العبوس والقمطرير.

فالشاعر هنا يودّ أن يصل إلى موقفين متضادين، عن طريق مجموعة من المتناقضات، لو اتحدت فيما بينها لتكونت الصور الكلية للمفارقة التصويرية، وهذا التناقض هو بين حال الشعوب الغربية، وحال الشعوب العربية، فشـــعب العـــرب يعيش الفقر المدقع والذل المهين، بينما أهل الغرب يهتدي بهم الناس، ويرجـــون الوصول إليهم بأي حال، ولكن الشاعر يُرجع الأمر في النهاية إلى الدهر، وهـــي كما أرى عادتنا نحن أهل الشرق، فكل شيء عندنا إنما سببه الظروف، ومردّه إلى الدهر، فلم نكتشف أخطاءنا التي هي سبب كل تأخر، إنما توجهنا دائمًا يكون نحو الزمن، وصدق الشاعر:-

نعيـــب زماننـــا والعيـــب فينـــا ومـــا لزماننـــا عيـــب ســـوانا!

وهكذا نشاهد عنصر المفارقة في قصيدة محمود الخفيف، وقد لعـــب دورًا بارزًا في الكشف عما يدور بخلد الشاعر، وعما يشعر به في نفسه تجـــاه وطنـــه وواقعه الذي يسبب له كل الأزمات النفسية الشعورية، وما كان لذلك أن يتحقـــق بدون هذه المتضادات الموجودة في أبيات القصيدة، والتي أطلعتنا على ما يـــدور في خلد الشاعر ومشاعره.

وفي موقف آخر، وقصيدة أخرى يُعطـــي لنـــا الشـــاعر مجموعـــة مـــن

(١) الديوان ، صـــ١٤٦ ، الرسالة ، س١٥ ، ع٧٢٣ ، ١٩٤٧/٥/١٢م، صـــ٥٤٠ : ٥٤٢.

المتناقضات التي تمثل عدة صور للمفارقة، يقول الشاعر:-

: قد أحب ابتسامة الطفل لولا خاطرٌ ساء وقعه في خيالي
لن تراه الغداة عيناي طفلاً إن فيه الغداة لؤم الرجال
وأسيغ ابتسامة الزهر لولا سوءُ مرآه ذابلاً في المساء
ويح نفسي كم يملأ النفس هولاً كل حسن تطويه كفُّ العناء " [1]

رسم الشاعر في هذه الأبيات مجموعة من المفارقات الخطيرة، والتي تؤكد خوف الشاعر حتى من الابتسامة؛ لأنه يعلم أنها لن تدوم، فها هو يخشى أن يحب ابتسامة الطفل؛ لأنه جال بخاطره أنه سيكون في الغد في صفوف الرجال اللئام، وهي صفة سيكتسبها منهم، فالشاعر هنا أعطى لنا أوّل صفة من الصفات المؤلمة الموجودة في مجتمعه، وهي صفة اللؤم، وقد انتقل خوفه هذا إلى الطبيعة، فهو يحب الزهور خاصة عند ابتسامتها وتفتحها في صبحها الباكر، إلا أنه يخشى عليها أن تذبل في المساء فتتبدد ضحكته او بسمته، وأظنه هنا يودّ أن يقول: إن أفعال بني آدم عاد وقعها وصداها على الطبيعة أيضًا، وفي هذا تأكيد على فساد المجتمع نظرًا لما يتمتع به من صفات ذميمة، فالتضاد واضح في الطفل الذي سيصبح رجلاً ويكتسب صفات رجال مجتمعه، والزهر سيتغير لونه وتزول ابتسامته، والنفس في عناء وشقاء، والمعنى الخفي الغير معلن هو أنه أراد أن يقول: إن أوضاع الناس في المجتمعات قد تغيرت إلى الأسوأ، رضوا الذل والهوان من مستعمريهم، وضاعت نخوتهم، ورضوا الاستعباد، وليتهم وقفوا عند هذا الحد، وإنما تفرغوا لبلادهم، لا للعمل والجد، وإنما ليذيقوها صنوف العذاب المختلفة التي تنزل بالأخضر واليابس، حتى أنها تعدّت حدود البشر حتى وصلت إلى الطبيعة، فالشاعر هنا يبحث عن الابتسامة لكنّه لم يجدها، وإن وجدها خشي على نفسه من مفارقتها له، إنها صورة ناقدة للمجتمع الذي يحيا فيه الشاعر، لسلبياته التي جعلته يكره الحياة، ويكره من عليها، وهذا واضح عند المنطقة الخطرة الحاسمة في نهاية القصيدة، إذ يقول: -

(١) الديوان ، صـ٣٦١ ، الرسالة ، س١٣ ، ع ٦٠٠ ، ١/١/١٩٤٥م، صـ١٩، ٢٠.

" مـــن بـــني آدم اشمـــأزَّ فـــؤادي وابتســـامتهم عـــذابٌ لنفســـي
كـــلَّ يـــوم كرهـــي لهـــم في ازديـــاد ليـــت لـــي في غـــدٍ ســـذاجة أمســـي "(١)

توحي هذه الصورة بمدى الألم والحسرة والمرارة التي في نفس الشاعر؛ نتيجة تصرفات أبناء المجتمع، فبعد أن كان مترددًا في قبول الابتسامة، حسم موقفه وأصبح لا يطيقها من كل بني آدم في مجتمعه؛ لأنها تسبب له العذاب، ويتضح فقد الأمل لدى الشاعر في إصلاح هؤلاء، في قوله: (كل يوم كرهي لهم في ازدياد)، مما يوحي أنهم ليسوا على استعداد لتغيير مواقفهم وأحوالهم، بل تمنَّى أن لو كان ساذجًا مثل الأمس، ويقصد أن اليوم السابق أفضل من اليوم اللاحق بكثير، وأن الأمل مفقود لديه تمامًا، بل نستطيع أن نقول: إن هذه المفارقة عبّرت عن مدى الإحباط وخيبة الأمل من الشاعر نحو المجتمع والناس، كما تشير إلى اللامبالاة التي وصل إليها أبناء هذا المجتمع، ومن هنا يمكن التأكيد على ما ذكرنا سابقًا من أقوال أكدت على أن المفارقة لعبة عقلية، بل هي من أرقى أنواع النشاط العقلي، كما أكّد على ذلك عدد كبير من النقاد، نؤكد أيضًا على أنها – وإن احتوت على ما يدل على الإحباط واللامبالاة – إلا أنها احتوت أيضًا على جانب إيجابي، حيث يقصد الشاعر بهذا الهجوم إيقاظ الهمم، وتنشيط الأذهان، وبعث روح العزيمة، والإصرار، وعدم التكاسل والخنوع من أبناء المجتمع.

المفارقة الزمانية :

المفارقة لدى الشعراء يستخدمونها في توضيح تجاربهم الحياتية، فهي نتاج عقل خبر الزمن، ونفس امتلأت حزنًا وفرحًا من خلال ما يحيط بها في الحياة، لذا نراهم يعبّرون من خلالها عن رؤيتهم للحياة، وتدخل هذه النفس في صراع دائم مع كل جوانب الحياة من زمان ومكان وأحداث عامة، من خلال ذلك نودّ أن نعطي فكرة مبسطة عن مفارقة شاعرنا "محمود الخفيف" الزمنية. علمًا بأن المفارقة يهدف منها الشعراء تغيير واقع مؤلم من خلال الإنسان الفاعل في الحياة.

(١) الديوان ، صـ٣٦٣ ، عدد ٦٠٠ ، سابق.

فها هو شاعرنا يصوّر لنا ساعة البين التي استقرت في ذهنه منذ زمن بعيد، يقول:-

" عرفتك يا ساعة البين قبلُ وقرّ عذابك في خاطري
غداة ذرفت عصي الدموع فأرخصت دمي لدى آسري
وضاقت عليَّ الرحاب الفسيح وأظلمت الأرض في خاطري " (١)

فهو يعبّر عن ساعة البيْن، وليست هي ساعة بالوقت المعلوم، إنما يقصد بها الفترة الزمنية التي أذاق فيها المستعمر البلاد والعباد شتّى ألوان العذاب، فهو يعرفها منذ فترة قديمة من الزمن، غداة زرف عصي الدمع، بل أرخصت الدم لدى الغاصب المستعمر، فهذا شعب يبكي، وآخر استرخص دمه حتى وصل لحد القتل، بل ضاقت الرحاب الفسيحة على الناس، وزاد على ذلك أن أظلمت الأرض في فكر الشاعر، حتى هيئ له أنْ لا خلاص من هؤلاء.

نسير مع الشاعر حتى نأتي إلى نهاية القصيدة، نجده يقول:-

" ولكنه حلم تنطوي على نفخة الصور أفراحه
ويهض كل فتىً للسلاح ويوحى له الدم إصباحه
فيهزأ بالموت في كرّه فليست بمثنيه مجتاحه " (٢)

أنهى الشاعر كلامه بـ(لكنه) مستدركًا ما فات مبينًا أن ذلك لم يكن إلا حلم ستنطوي أفراحه على نفخة الصور، والمقصود بها ثورة الأمة وقيامها من رقدة العدم، بدليل أن نهاية ذلك الحلم ونهاية هذا الكابوس بنهوض الشباب المسلح، وبذل الدم رخيصًا في سبيل الخلاص من المستعمر، وما أجمل تعبيره بالشباب الذين يهزأون بالموت ساعة الكرّ، حيث لا يثنيه عن غايته وهدفه أي شيء، فالشباب رمز القوة، وضح لنا منطق القوة والمغالبة لدى الشاعر، والمفارقة تكمن في الخضوع والخنوع في الأبيات السابقة، والقوة والدفع لدرجة عدم خشية الموت في الأبيات التالية، فالزمن طال على الشاعر، لكنه أصبح

(١) الديوان ، صـ١٣٢ ، الرسالة ، س٧ ، ع٣٢٧ ، ١٩٣٩/٢/١٩م، صـ١٩٤٤ : ١٩٤٦.
(٢) الديوان ،ص ١٣٣ ، الرسالة ، ، س٧ ، ع٣٢٧ مرجع سابق.

قصيرًا عند هبّة الشباب والمجتمع بأكمله من رقدة العدم فالمفارقة تتمثل في الحلم الذي يصعب تحقيقه لأن فرحته ستنطوي علي نفخة الصور ، لكن الأمل قائم لو نهضت الأمة من ثباتها ، وفي موضع آخر يُسخّر الشاعر الطبيعة لخدمة أهدافه، وبيان ما يجول بخاطره، وما يشعر به في نفسه، يقول:-

" أيها الراحل العنيد وداعًا قد سئمناك من زمان بعيد
كم تظاهرت بالرحيل خداعًا فظننا خطاك تمضي تباعا
فإذا أنت مقبل من جديد! " (١)

أظن أن الشاعر أراد أن يعبّر من خلال الطبيعة المتمثلة في لفظة "الشتاء"، عن المستعمر الذي استحل دم العباد والبلاد، فها هو يكرهه من زمن بعيد؛ لأنه مخادع كاذب، فالشتاء يأتي بالعاصفة والرياح والغبار والأتربة، وقد يهدأ فتظن أن الحال سيتحسن إلى حالة أفضل، لكنه يفاجئنا من جديد بما كان عليه، كذلك المستعمر يتظاهر بأنه ما جاء إلا لخدمة الناس وتطوير أحوالهم، فإذا ما بدا منّا الرفض نجده وقد تظاهر بالذهاب ، إلا أنه ما يلبث أن يعود مرة أخرى من جديد، فهذا الزمن يمثل فترة عصيبة لا يطيق الشاعر رؤيتها، ومن خلالها ينبه الشاعر مجتمعه على خداع العدو، وتظاهره في ثوب يدّعي من خلاله أنه ما أتى إلا ليتقدم بالمجتمع، لكنه في الحقيقة ما أتى إلا ليدمّر القيم والمبادئ، ويهلك الحرث والنسل.

ويقول في موضع آخر:-

" عند الثلاثين قفي ساعةً وجاوزي اليم إلى الساحل
هذا هو الماضي فماذا ترى عيناي من طيف له ماثل؟
مطارح الأيام مبسوطة كم بينها من أثر حافل!
كم اجتلى يا نفس من صورة عرفتها في عيشي الزائل " (٢)

عندما بلغ الشاعر الثلاثين من عمره، يطلب من الزمن أن يقف ساعة

(١) الديوان ، صـ٣٤٥ ، رسالة س٢ ، ع٣٧ ، ١٩٣٤/٣/١٩م، صـ٤٦٢ ، ٤٦٣.
(٢) الديوان صـ٣٥٩ ، الرسالة س٧ ، ع٢٩٤ ، ١٩٣٩/٢/٢٠، صـ٣٦٢ : ٣٦٤.

ليفرّق فيها بين زمن الماضي وزمنه الآني، فالأيام في الماضي كانت مبسوطة هنيئة، حافلة بكل دواعي السرور، بل لديه كثير من الصور الذهنية الجميلة التي وردت إلى خاطره من خلال عمره الماضي، ثم يأتي إلينا الحل في نهاية القصيدة، بل نقول تأتينا وجهة نظر الشاعر في هذا الأمر، وكأنه يطرح سؤالاً للمجتمع: لماذا ترضون بهذا الذل وهذا الهوان؟! لتأتي لنا الإجابة في نهاية القصيدة، يقول: –

" عند الثلاثين قفي وانظري وغازلي يا نفس حلو الأمل
من لم يُشمّر للمعالي فتًى هل يعرف العزم إذا ما اكتهل؟
العيش في الدنيا قليلٌ فهل من موضع فيه لغير الجذل؟
كم شدة يا نفس مخبوءة ولذة في عيشك المقتبل
لا تلعني دهرك أو تحمدي الدهر لا يسأل عمّا فعل " (١)

فها هو الصراع المحتدم بين الشاعر وبين ذاته، داعيًا إياها ألا تركن إلى فقد الأمل في المستقبل والحاضر، واضعًا لها الدواء من خلال دعوته لكل من يريد طلب المعالي أن يجعل العزم شعاره، فإذا كان وهو في الفتوة يقترف الضعف مذهبًا له، فما باله لو تقدم به السنّ واكتهل، فالشباب رمز القوة، والاكتهال رمز الضعف، فكلما زاد ضغط الزمن عليه استدعى "الشباب" للخلاص من ذلك، فإذا كان المجتمع يريد العزة والكرامة عليه أن ينهض، فهناك الكثير من الشدائد المخبوءة ستنزل بالناس إن لم يهبوا وينهضوا، ثم يتجه بنا إلى قضية أخرى مستخدماً أسلوب النهي، مما يؤكد أنه غير راضٍ عن وضع المجتمع، بل يمر بأزمة نفسية جراء ذلك، هذه القضية كثيرًا ما نجدها راسخة في أذهان أبناء الشرق، وهي أنهم إذا ما حلت بهم مصيبة أو ضائقة، إنما يرجعون ذلك إلى الزمن، وهذا أمر عجيب؛ لأن الزمن لا يُسأل عن أفعاله، إنما هو يخضع لإرادة الناس، فلا يُعطي المتكاسل الواني، وإنما هبته دائمًا تكون لأصحاب اليقظة والكد والجهاد والاجتهاد، وهنا وضحت لنا رؤية الشاعر حيث زمن الشباب ما قبل

(١) الديوان ، صـ٣٦١ ، الرسالة س٧ ، ع٢٩٤ ، سابق.

الثلاثين، وفيه حياة السعادة، إلا أنه فوجئ بوضع مختلف أصاب البلاد بالوباء، لذا يحفز الناس على الأمل، والأمل لا يكون إلا بنهضة الشباب، وعليهم ألا يلعنوا الزمن لأنه غير مسئول عن أفعالهم، فلا حياة بدون كفاح وجهاد.

المفارقة المكانية: -

يقول الشاعر : –

" ففي البر والبحر أمضى سلاح وفي الجو كم ذا لنا من جناح
ومن كل قلب لنا صيحة تفدي حمانا فلن يستباح " (١)

في هذين البيتين تتمثل المفارقة في حديثه عن عالمين مختلفين، أحدهما العالم الخارجي المتمثل في البر، والبحر، والجو، وهي رموز إنسانية عميقة، ومظاهر خالدة باقية على مر العصور، وهي مظاهر عامرة مبهجة للحياة، تجلب للناس السعادة والسرور، إلا أن الشاعر يُشعرنا بأنه لم يسعد بهذه الأشياء نظرًا لما في قلبه ونفسه من مرارة وأسى على الإنسان الذي يترك هذه المظاهر دون أن يتمتع بما وهبه الله له ، فالصيحات متتالية مزدحمة في قلبه، وهو ما جعله يصيح بها؛ لأنه ضاق بها ذرعًا، وفيها يدعو الناس إلى إخراج هذه الصيحات على أرض الواقع، فيجعلوها زلزلة على أعدائهم، فبها لا تستباح أوطاننا، وهنا تكمن المفارقة في دعوته للمجتمع أن يجعل صيحاته كالراجفة التي تهز كل أركان العدو، وأن يكونوا في ثبات كما هي مظاهر الطبيعة من بر وبحر وجوّ.

وفي موضع آخر يقول: –

" باع فلسطين حماة الأمم أهل المواثيق رعاة الذمم
الكاشفون الضرّ عن أرضنا حين يغشى الناس فيها الظُلّم
الكارهون البغي من أنقذوا بالنار حرياتهم والقلم ! " (٢)

ففي هذه الأبيات نرى الشاعر وقد بدأ بلفظ "باع"، التي تدل على الخسارة والفقد، فالأمر العجيب في هذه المفارقة أن حماة الأمم الذين من واجبهم أن

(١) الديوان صـ١١٩ ، الرائد ، يونيو ، ١٩٥٦م ، س١، صـ١٧.
(٢) الديوان صـ١٤٧ ، الرسالة ، ع٧٥٧ ، س١٦ ، ١٩٤٨/١/٥ ، ص ٢٤-٢٥.

يدافعوا عن الأوطان بكل ما يملكون، والذين من دورهم قيادة الناس للدفاع عن أوطانهم إذا بهم يبيعون الأرض، وليتهم وقفوا عند هذا الحدّ، وإنما وافقوا أن يجعلوا الظلم والطغيان يعم ويغطي البلاد. لكنه يستأنف الأمل من جديد ولا يستسلم لليأس من خلال قوله: (الكارهون البغي من أنقذوا)، إذن هناك من باع، ولكن هناك من اشترى، تدل عليه لفظة (أنقذوا)، بأي شيء أنقذوا؟ أنقذوا الوطن بالنار، وكذلك حرياتهم، فصراع الشاعر مع نفسه يتضح من خلال رؤيته لأبناء المجتمع الذين ينقسمون إلى قسمين، منهم الخائن الذي يبيع، ومنهم الأمين المحافظ على وطنه، والذي اشتراه لا بالذهب والفضة، وإنما بالنار، وافتداه بالروح. فالشاعر يريد أن يبعث الأمل في النفوس على أن هناك كثيرًا من الشرفاء الذين يحافظون على أوطانهم بدمائهم.

مفارقة الشخصية

في هذه المفارقة يمكننا أن نستجلي صورة شخصية "الخفيف" من خلال أبياته التي يقول فيها:-

" أنا أشقي يا ويلتا بانطلاقي ... من إساري فأين مني وثاقي
آه ! من لي بساعةٍ من زمان ... كان بعض النعيم فيه احتراقي!
لم يعُد ثمَّ بعد مرتِ الأماني ... غير ماضٍ أصبو له وأعاني
أن يكون عود عيشه مستحيلاً ... فشفائي في غفوة النسيان " (١)

يلخص لنا الشاعر في هذه الأبيات منهج حياته، بل وموقفه منها في لقطة تعتمد على التركيز، فأراه يخوض الصعاب ويتحداها، فما أعجب أن يشقى الإنسان بحريته وانطلاقه! ويزيدنا عجبًا عندما يبحث عن الوثاق بدل الانطلاق! ثم يستمر في بحثه عن ساعة من زمنه الماضي كان النعيم فيها هو احتراقه، ثم يحدثنا في البيت الثالث أنه لم يعد هناك أمل إلا في الماضي السعيد الذي يصبو إليه، حتى وإن كانت الحياة فيه متقشفة ومتعبة، لكنه كان سعيدًا بها، حيث لا كدر ولا تعب، فإن كانت العودة إلى الماضي مستحيلة، فلا علاج له إذن إلا النسيان.

(١) الديوان ، صـ١٣٩ ، الرسالة ،س١ ، ع٦ ، ١٩٣٣/٤/١م، صـ٢٤٨.

في الأبيات الكثير من المفارقات الجزئية، مثل: (يا ويلتا في انطلاقي)؛ لذا يبحث عن (الوثاق)، ثم يتمنى الساعة الماضية من الزمن القديم، مع أن نعيمه فيها الاحتراق، هذا هو المعنى الظاهر، إلا أنني أشعر أن الشاعر يمر بحالة نفسية سيئة؛ جرّاء ما يشاهد من مناظر لا تسرّ العين، وأصوات تصعق لها الآذان، وأشخاص لم يعرفهم من قبل، حيث كانوا أصحاب النخوة والمروءة، المفقودتين في زمن الحاضر، فمن كثرة ما يشاهد من أحوال مترديه، تمنى أن يعود إلى الزمن القديم الذي كان يعيش فيه في منطقة محدودة، ذات حيز معين، تكاد تكون معزولة عن هذه المشاهدات السيئة، وإن كان مصيبها شيء من هذه الأضرار والمآسي، لكنه ليس بهذه الصورة؛ لذا تمنى العودة إليها، من هنا يؤكد على أنه لو كان هذا الوضع مستمرًا بهذا الشكل في هذا الزمن، حيث الخضوع والاستكانة والذل والهوان، فأهون عليه أن يعود لقيمه القديمة حيث النخوة كما قلنا.

والشجاعة والاستبسال ، وعدم الرضا بالتجريد من الكرامة من أن يعيش هذه الحياة، ثم نرى تصميمه على تلك العودة حيث يؤكد على أن هذه العودة لو كانت مستحيلة، فليس له من سبيل إلا النسيان، فالمعنى الباطن لدى الشاعر، أو فلسفته تجاه الزمن الذي يعيشه يوحي بأن الشاعر فقد الأمل في المجتمع، حيث رضي بالذل والهوان، ويشربهما عذبًا سلسبيلاً، فالشاعر يعيش حالة نفسية متأزمة يفجّرها في صورة كلمات يطلب فيها من الناس، إما أن تدافعوا عن أوطانكم وتتمثلوا قدماءكم من أهل المبادئ والكرامة، وإما أن تتخذوا النسيان طريقًا لكم، وتظلون على هذه الحالة: حالة الذل والاستعباد.

وفي موضع آخر يقول الشاعر: –

" أنا بنت الشمس والفجر أبي شيِّع النجم وراقب مطلعي

كم سبقت الصبح في طلعته

وسرقت السحر من غُرته

وفمي كم صاغ من بسمته

أيهـــــا الســـــائل هـــــذا نســـــبي مثـــــل ذا فاطلـــــب وإلا فـــــدع " [1]

في هذه الأبيات يعود الشاعر إلى أصله، حيث الأبيات من قصيدة بعنـــوان "بنت القرية"، فيؤكد على أن "مصر" التي هانت في أعين أعدائها، ومن قبل هانت في أعين أبنائها، أتدري من هي؟ وما نسبها؟ إنها مصر، ابنة الشمس، وأبوهـــا الفجر، طرح هذا الجواء بناءً على سؤال وجه من أعدائها: من مصر هذه التـــي نعمل لها حسابًا؟ فكانت الإجابة التي توضح مكانتها، فهي (الشـــمس – وأبوهـــا الفجر – وهي من سبقت الصبح في الظهور)، من وجهة نظري أرى أن الشـــاعر يختلق حوارًا مع آخرين؛ ليجيب فيه عن مكنون نفسه، مستغربًا من هوان مصر على الناس، لكنه في نفس الوقت في حيرة واستغراب من أمره، فنجده وقد وضع العذر للمستعمر، وذلك في قوله: (مثل ذلك اطلب وإلا فدع)، فكأنه يقول: إن لـــم يطلب المستعمرون بلدًا كمصر فمن يطلبوا؟! إلا أنه في حيرة أخرى من أمر أبنائه المفرطون في أوطانهم مع أنهم يجب أن يفتخروا به؛ لأنـــه ذو نســـب عريـــق لا يطاوله فيه أحد، فالمفارقة تكمن هنا حيث هناك من يشتري، وآخر يبيـــع، مـــن يشتري يعرف المكانة والقيمة، ومن يبيع يجهل كل شيء، وللأســـف الكبيـــر أن البائع المفرّط هم أبناء الوطن. أراد الشاعر من خلال هذه المفارقة أن يعبّر عمّـــا يجول بخاطره، وما يعتري نفسه من آلام نتيجة هذه الصفقة المشبوهة المشوَّهة، وهنا تكمن المفارقة حيث القصف الذهني، والعواصف النفسية المدمرة.

المبحث السادس :-المفارقة والقيم الفنية أو الظواهر الأسلوبية: -

لا يخفى على البحثين ما للبلاغة من أهمية في شتى الدراســـات الأدبيـــة والنقدية، والمفارقة – مع أنها ظاهرة أسلوبية – إلا أنها تعتبر إحـــدى الفنـــون الأدبية، كما أنها تُعدّ صياغة بلاغية، لذا نجدها وقد احتوتهـــا الألـــوان البلاغيـــة المختلفة، ومن هذه الألوان ما يأتي:-

التشبيه : -

يراه ابن رشيق "صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهـــة واحـــدة، أو

(١) الديوان ، صـــ٣٥١ ، الرسالة س٧ ، ع٣٣٧ ، صـــ٢٣٠٨ : ٢٣٠٩.

جهات كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه. ألا ترى أن قولهم: (خد كالورد) إنما أراد حمرة أوراق الورد، وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه، وخضرة كمائمه؟.."[1].

من هنا سنحاول استجلاء المفارقة في محيط تشبيهات "محمود الخفيف" من خلال أشعاره، يقول:-

الحق صبح لا محاق لنوره والباطل المغتر ليل يزهق

يا دنشواي على بنيك تحية كالروض يوقظه الربيع فيعبق

قد كنت أول غضبة وطنية صدر العميد لها مغيظ محنق "[2]

يتحدث الشاعر عن حادثة دنشواي، وهي الحادثة التي هزت الأركان كلها، وحركت المياه الراكدة، فها هو الحق أصبح من بعدها جليًّا واضحًا لا يمكن لأحد في الوجود أن ينكره، وفي المقابل الباطل زاهق زاهق، وهنا نشاهد الشاعر وقد استعان بالاقتباس من القرآن الكريم عندما تحدث عن حال الكافرين، وذلك في قوله تعالى: (قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا)[3]، وهو ما يدعم قوله ويؤكده، فما أشبه هذا بذاك، ثم نجده يرسل التحية إلى شباب الوطن، وهم من يبنى عليه الأمل في أغلب أشعاره، تحية لهم لما قاموا به من غضبة هزت أركان العدو وزلزلته، هذا الشباب الذي حركته هذه الحادثة، كما يحرك الربيع الروض ويوقظه من ذبوله وضعفه وهوانه، المفارقة لدى الشاعر يعبّر من خلالها عن سعادته النفسية لما حدث؛ لأنه كان يؤرق نفسه سنوات طويلة، فها هو الآن وقد أخذ نفسًا عميقًا نظيفًا بعث فيه الحياة والأمل من جديد، بعد أن كان في أحوال سابقة قد وصل إلى درجة كبيرة من اليأس، نتيجة أفعال المستعمر الغاشم.

ويتحدث في موضع آخر عمن جاد بروحه في سبيل الوطن، فيقول:-

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط:٣ – مصر – ١٩٦٣م، بيروت – لبنان – دار الجيل للطباعة والنشر – جـ١، صـ٢٨٦.

(٢) الديوان صـ١٣٥ .

(٣) الآية ٨١ من سورة الإسراء .

" ويكتب البيت من بعده فما من جليس ولا آنس
تطوف بأرجائه وحشةٌ كما طاف بالطلل الدارس
وليس إذا جنَّه ليله سوى خفق مصباحه الناعس" (١)

يتحدث الشاعر هنا عن قفار المنزل وقد أصبح كئيبًا بعد فقد صاحبه، ففي كل أرجائه تجد وحشة لهذا البطل المغوار، فالوحشة شديدة لدرجة أنها جعلت البيت كالطلل الممحي من على وجه الأرض، ولم يبق إلا الأثر، وحالة هذا البيت إذا ما أتى الليل الحالك المظلم، لم يبق فيه من أثر سوى المصباح ضعيف الإضاءة، فقد ذهب الأنيس والجليس ولم يبقَ إلا الأثر، هذا هو المعنى الظاهر، أما ما أرى الشاعر يقصده فهو الوحشة النفسية للنور وضيائه، وتبديد الظلام الذي ران على القلوب؛ نتيجة استكانة أهلها، والنور لن يتحقق إلا إذا قدم الناس أرواحهم فداءً لأوطانهم، فإذا كانت وحشة البيت أضاءها المصباح الناعس، وهو كما اعتقد الشهيد، فما بالك لو قدم الناس أرواحهم، لحلّ النور في بلادنا بدل الظلام، والنور بمعنى تحقق الحرية، وجلاء المستعمر، فالمفارقة تحققت من خلال الوحشة التي عمت أرجاء البيت الذي يمثل نفس الشاعر، وبين الطلل الدارس الذي يمحو آثار المكان، وعبّر هنا بالفعل المضارع "يطوف"، والذي يدل على التجدد والاستمرار؛ ليؤكد ما يشعر به لأبناء بلده، من أنهم لو استمروا على حالة الركون والوهن، لظل حالهم هكذا فترات قادمة طويلة من الزمن.

الاستعارة : -

الاستعارة من الأساليب التعبيرية البلاغية الهامة عند العرب منذ قديم الزمان، وهي "أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعِيره المشبه وتجري عليه".(٢)

أما أهمية الاستعارة فتكمن في "شرح المعنى والإبانة عنه، أو تأكيده

(١) الديوان صـ١٦١ .
(٢) دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تعليق وشرح: السيد محمد رشيد رضا، ط٦، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، مطبعة محمد على صبح ، ص ٥٨.

والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، ولولا أن الاستعارة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة، من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً".(١)

والآن ندخل لفن الاستعارة؛ لمحاولة ما أضفاه هذا الأسلوب الرائع للمفارقة من توضيح وظهور للمعنى، وإلى معرفة مشاعر الشعراء، ومكنون نفوسهم من خلال التصوير المحسوس للمعنويات، يقول الشاعر في حديثه إلى النهر:-

" تجهم وجهك بعد الصفاء ... وروّع بأسك سكانها
لبست الجفاء على غرة ... فآلم غدرك وجدانها
تركت الكنانة في غمرة ... يهدد سيلك بلدانها
كأنك جيش تخطى الحدود ... وأنذر بالموت قطانها
تقيم السدود على ضفتيك ... وتحشد حولك فتيانها
تراقب موجك في حسرة ... تجدد للنفس أشجانها "(٢)

يتوجه الشاعر في هذه الأبيات بعدة أسئلة للنيل الراسخ الثابت، وكأنه يتحدث إلى إنسان فيه روح ودم، ويعي ويفهم ما يوجَّه إليه؛ لذا نجد الشاعر وكأنه ينتظر إجابات لما يسأل به، والاستعارة هنا تحل في كل بيت من الأبيات السابقة، وهي استعارة مكنية، حيث حذف المشبه به وأتى بالمشبه، والمفارقة هنا تكتمل بكمال الصورة كلها، شبه الشاعر النيل بإنسان يعي ويفهم ويسمع، وله علامات تغيير في وجهه على حسب المزاج الذي يكون عليه، فالتجهم واللبس، والترك، وتقييم السدود، والمراقبة، كلها صفات يقوم بها الإنسان، فالصورة كاملة رسمها الشاعر، وصنع من خلالها مفارقته والتي كان بطلها وضحيتها في وقت واحد؛ لأنه على الرغم من علمه بأن النيل لن يجيب على أسئلته، إلا أنه يُصر

(١) الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق: على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مصر ، مطبعة عيسي البابى الحلبى ، سنة ١٩٧١ ، صـ٢٦٨.
(٢) الديوان ، صـ٧٥ ، الرسالة ، س٢ ، ع٦٥ ، ١٩٣٤/١٠/١، صـ١٩٢٩.

على ذلك مستجيبًا لدفقاته الشعورية، وأمله من أبناء مجتمعه الذين كانوا سببًا مباشرًا في إلحاق كل هذه الصفات بالنيل أن يعودوا إلى رشدهم، وينهضوا من رقادهم، ويفيقوا من غفلتهم، ليغيروا من هذه الصورة القاتمة والتي تحتويها نفس الشاعر، ونفوس كل الشرفاء الذين يهيلهم الأمر لشدته.

فالشاعر يهيب بالشباب، بل الناس جميعًا أن ينتبهوا؛ لأن غضب النيل لا يستطيع ردّه أحد، فها هو يقيم السدود، ويحشد الفتيان من حوله، لكنه ينكر عليهم استمرارهم في هذا الوضع؛ لأنهم لو استمروا على ذلك لابتلعهم نيلهم الذي يحميهم الآن من شدة الغضب منهم، فالمفارقة تكمن في التلاعب اللفظي، حيث النيل الجامد يغضب لما يحل بوطنه، والإنسان صاحب الإساس والمشاعر يخضع ويركع مستلذًّا بطغيان المستعمر.

الكناية :

الكناية من الأساليب البلاغية المشهورة، فلا تكاد تقرأ بيتًا من الشعر إلا وتراه يحتوي على الكناية، وهي تعبر في الغالب عن مكنون نفس الشاعر، يرى "عبد القاهر الجرجاني" أن "المراد بالكناية ههنا: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيئ إلى معنى، هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ إليه، ويجعله دليلاً عليه..."(١).

يقول الشاعر من قصيدة "جميلة بو حريد":-

" نفرت كل "جميلات" الحمى ... كل أخت نافست فيه أخاها

نسيت كل فتاةٍ قيسها ... كل ليلى ودّعت فيه هواها

وإلى الموت تنادى فتيةٌ ... وعليهم أمةٌ ألقت رجاها " (٢)

يتوجه الشاعر في هذه الأبيات إلى أعدائه قائلاً لهم: إياكم أن تتصوروا أن "جميلة" التي تقاومكم هي واحدة، فبنات ونساء الجزائر كلهن "جميلات الحمى"، لدرجة وصلت إلى التنافس في الإقدام، حتى أنّ كل واحدة نسيت قيسها، أي

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، صـ١٠٥، مرجع سابق.
(٢) الديوان ، صـ١٥٣ .

حبيبها أو زوجها؛ لأن الوطن استدعاهن للذود عنه، أتدرون أين هن ذاهبات؟ إنهن قادمات إلى ميدان القتال ليحققوا رغبة الأمة التي نادت لهن، فما أجمل التلاعب اللفظي الذي يدل على تمكن الشاعر من أدواته، بل يدل على قدرته اللغوية، انظر إلى التناسق الأخّاذ في عبارة (نسيت كل فتاة قيسها"، و"كل ليلى ودعت قيسه هواها")، فالتنكير في الأولى "كل فتاة"، يدل على أن كل فتاة لها رجل في مواصفات "قيس"، ومع ذلك نسيته من أجل الوطن، وفي الثانية اختص من الجنس "ليلى" المنسوبة إلى "قيس" حيث قصة الحب المشهورة، فهي التي ودعته هواها، مما يؤكد حرصهن على أزواجهن في نفس الوقت، فنتيجة ما يصنعه تعود على الوطن بأكمله بالخير، ظاهر اللفظ يدل على أنه يمدح هذه المرأة المغوارة التي جعلت الشرق والغرب يتحدث عنها، أما رؤيتي الخاصة فتتمثل في أن الشاعر لديه حنق وغيظ من رجال هذه الأمة، أي أمته التي يعيش فيها – أقصد "مصر" – لذا استدعى هذه الحالة، وكأنه يبعث إليهم برسالة مفادها: إذا كانت امرأة أبهرت الدنيا بفعلها، فلِمَ تركن أيها الرجل إلى الاستسلام، إنها مفارقة نفسية لدى الشاعر، حيث استدعى هذا الموقف ليفجر الدفقات الشعورية التي يحملها بداخله، والتي يودّ أن يصل بها إلى أبناء وطنه، وضحية المفارقة هنا هو الشاعر، حيث يتجاهل أنه يعرف حقيقة الأمر، فالحقيقة تقول: إن ما يشعر به في نفسه لا يختلف كثيرًا عن الواقع، فالمفارقة هنا تظهر واضحة من خلال الصورة كاملة، وهناك الكثير من الكنايات في ثنايا ديوان "الخفيف"، والتي تدلل على المفارقة، حيث الاتفاق بينها وبين الكناية؛ لأن كليهما يذكر شيئًا ويريد غيره.

الطباق: -

الطباق فن بلاغي من فنون البديع، يقول العسكري:-

"أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين

البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد".[1]

وسنطبق ذلك على أشعار "الخفيف"، يقول:-

" دنيـــا مـــن المـــأكول والآكـــل لا شـــيء مـــن حـــق ولا باطـــل
الغابـــــة اللفـــــاء دنيـــــاهم فـــالعيش للفاتـــك والخاتـــل " [2]

يتحدث الشاعر إلى الشرق، ليعطي له صورة عن الغرب وأفعاله ونظرته للشرق وأبنائه، فهم لا يعرفون سوى القوة منطقًا، وهم دائمًا في حالة طمع فيما لا يملكون، يظهر ذلك من خلال المفارقة الطباقية التي يصورها لنا الشاعر من خلال ألفاظه التي استخدمها في تعبيراته، مثل (المأكول – الآكل)، (حق – باطل)، فهذه الطباقات التي تتضح من خلالها صورة الشرق، والغرب، فالشرق في حالة ضعف وركود؛ لذا صار هو المأكول، والغرب قاسٍ وظالم ومتجبر؛ فصار هو الآكل، وهذا هو حال من يعيشون في هذه الحياة، وكأن الشاعر يعود بنا إلى عصر الجاهلية حيث لا قانون يردع الظالم عن ظلمه، وهذا واضح في قوله: (لا شيء من حق ولا باطل)، ويظهر جليًّا أيضًا في قوله: (فالعيش للفاتك والخاتل)، نعم إنها حياة الجاهلية؛ حيث الغلبة للأقوى، يعبّر الشاعر من خلال طباق الإيجاب عن وجهة نظره، وفلسفته تجاه الحياة، حيث يراها بهذه الصورة القاتمة، والشاعر هنا هو ضحية المفارقة أيضًا؛ وذلك لتطابق ما يشعر به مع الواقع الخارجي، أو إن شئت فقل: تطابق الواقع الداخلي مع الواقع الخارجي، وأرى في نفس الوقت أن الشاعر يبتغي الوصول بهذه الحكمة الفلسفية إلى أبناء وطنه، منبهاً إياهم من غدر الزمن، حيث البقاء للأقوى.

ويقول في موضع آخر:-

" أمـــم في الشـــرق والغـــرب بكـــت مـــا دهاهـــا وأفاقـــت مـــن كراهـــا "[3]

ذكر الشاعر ذلك في حق "جميلة بو حريد" الثائرة الجزائرية المعروفة،

(١) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد على البيجاوي ، مصـر – مطبعـة عيسى البابي الحلبي – ١٨٧١م، صـ٣٠٧.
(٢) الديوان ، صـ١٤٥.
(٣) الديوان صـ١٥٢ .

فبعد أن فعلت ما فعلت، ظهر أثرها الحقيقي من خلال هذا البيت، انظر إلى الشرق والغرب يبكيها، فالشرق يبكيها فاقدًا إياها لا عجب في ذلك، لكن الغرب يبكيها أيضًا هو ما يثير العجب! ثم إن ما دهاها جعل أممًا تفيق من غيبوبتها، فالشرق استيقظ أبنائه من رقدتهم، والغرب بدأ يُراجع نفسه؛ لأنه لاقى من الهول ما لاقى من الثائرين والثائرات في بلاد الشرق، فالشاعر طابق بين الشرق والغرب، وكأنى به يرسل نصيحته إلى الطرفين: إلى الغرب ليكف عن أفعاله، وإلى الشرق ليهب ثائرًا في وجه عدوه إن استمر علي حاله، والأمر في النهاية يعود إلى ما يتمناه الشاعر في نفسه، حيث يرجوا السلم والسلام للعالم بأكمله.

الجناس: -

الجناس أيضًا ،هو أحد الفنون البلاغية التي تقع تحت باب علم البديع، وهو في الاصطلاح "تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى. ويقال له: التجنيس، والتجانس، والمجانسة...".(١)

لقد استخدم شاعرنا المجانسة في كثير من قصائده، إلا أننا سنأخذ بعضًا منها لندلل على وجودها، ودورها في المفارقة، يقول الشاعر:-

" أعيش من عجمائه أوضعاً يا ليت لي من فكره موضعًا
....
حماره في سُرج من حرير وبيننا في الرزق فرق كبير
وكلبه ، لو أن بعض الذي يحظى به حَظِّي جهلت الشكاة " (٢)

الشاعر هنا يصوّر حال الفلاح الذي لو تكلم عما بداخله لتعاطف معه الكثيرون، يصنع الشاعر مقارنة بين الفلاح، وبين الغنى، وليتها كانت مع الغنى، وإنما مع حيوانات الغنى ليعبّر عن الظلم الاجتماعي، انظر إلى اللفظ (أوضعا – موضعا)، يؤكد الشاعر على أن الفقير إلى جانب حيوانات الغني أوضعا، متمنيًا في نفس الوقت أن لو كان له موضع في عقل الغني.إنها طبقية ظالمة بمعنى

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي ، ط١٢ – بيروت – لبنان – د.ت، صـ٣٩٦.
(٢) الديوان ، صـ١١٤.

الكلمة، ولك أيضًا أن تنظر إلى كلمتي (سرج من حرير – في الرزق فرق كبير)، فالحرير يدل على التنعم والنعيم، وكلمة كبير تدل على الفرق الشاسع بين الفلاح، وبين عجماء الغنى، وزادنا تأثرًا عندما أكد على أنه لو حظي بما يحظى به كلب الغني لامتنع عن الشكاية، لقد استطاع الشاعر من خلال ألفاظ المجانسة التي صنعها بفكره الثاقب، وبنظرته الدقيقة لأحوال المجتمع، أن يقدم لنا صورة طبقية فظة يندى لها الجبين، فالألفاظ (أوضعا – موضعا)، (حرير – كبير)، (يحظى – حظِّي)، دللت دلالة كاملة على المفارقة العجيبة بين الحالتين، صورة مؤلمة لأنها لا توازن حتى بين الجنس الواحد، إنما توازن بين الإنسان والحيوان، والعجب أن تكون الغلبة فيها للحيوان، مع أن هذا الفلاح هو قوام الحياة الاجتماعية، فبدونه لا حياة لهؤلاء الأغنياء المرفهين، استطاع الشاعر من خلال جناساته الناقصة أن يصل إلينا بمشاعره وأحاسيسه المليئة بالغيظ جراء التفاوت الطبقي في مجتمعاتنا التي لا تراقب الله في أحوالها، هو أمل لدى الشاعر أن تتبدل الأحوال إلى أحسن حال، فهو يرمي بالقضية في وجه المجتمع؛ عله يستفيد ويشعر بما يشعر به الشاعر.

وإذا نظرنا إلى شاعرنا في موقف من مواقف المدح، نجده وقد تمكن من أدواته اللغوية بطريقة تثير الإعجاب، يقول:-

" ولك الحماسة والكياسة والسياسية والرياسة والوفاء الأصدق " [1]

لك أن تنظر في الألفاظ المتجانسة في اللفظ، المتضادة في المعنى، فالألفاظ (الحماسة – الكياسة – السياسة – الرياسة) تدل على مكانة وعظمة الموصوف بها، وهو ما قصد إليه الشاعر بالفعل، وبدأ بـ(لك)، وكأنه يقصر هذه الصفات على ممدوحه، لقد استطاع الشاعر أن يعبّر عن مكنون نفسه تجاه ممدوحه، علمًا بأنه ليس من الشعراء المداحين، وإنما يمدحه لما قام به من دور مهم في حادثة دنشواي، من هنا كان إعجابه به. لقد لعب الجناس في ها الموقف دورًا مهمًّا في صنع المفارقة المعنوية.

(١) الديوان صـ١٢٥.

التكرار : -

من المعلوم أن التكرار إنما يأتي لتقوية المعنى وتأكيده، وله أنواع متعددة، منها: تكرار الحرف، وتكرار الكلمة، وتكرار الجملة، وسننظر في شعر "الخفيف" لنرى ما يحمل من تكرار في الألفاظ:-

يقول الشاعر:-

" كم سعينا إلى الرياض أصيلاً وقطفنا الزهور ملئ يدينا
كم ضحكنا وكم لعبنا طويلاً كم جرينا وكم مشينا الهوينى
كم جمعت الزهور من كل غصن ووضعت الزهور بين يديها"[1]

نود أن نشير أولاً أن استخدام الشاعر للتكرار لم يكن من باب الترفيه اللفظي، وإنما يأتي به ليطرح حملاً ثقيلاً من على كاهله، ويأتي به ليؤكد على فكرة أو هدف معين بغية الوصول به إلى الناس، وقد يأتي به في حالات الاحساس بعدم القدرة على البوح بما يضيق به صدره، ويكون هدف الشاعر كذلك التأثير في المتلقي عن طريق الأحاسيس والمشاعر. إنه في النهاية "لازمة حتمية أو جملة موسيقية تتردد بين وقت وآخر؛ كي تحفظ الإيقاع الأساسي للقصيدة".[2]

شاعرنا يحكي عن أيام الطفولة، فأتى لها بما يناسبها من ألفاظ، مثل: (الرياض – الضحك – الزهور)، ونراه وقد أتي ب(كم) الخبرية؛ لأنه غير متأكد من عدد المرات التي سعى فيها إلى الرياض، ولا من كمية الضحك التي قام بها في طفولته، ولا كمية الزهور التي جمعها، يهدف الشاعر من وراء ذلك الحديث عن أيام خوالي لم يكن فيها همّ ولا حزن، وما جعله يستدعي تلك الأيام فيما اعتقد إلا ما أصابه في مرحلة الشباب من همّ وغمّ جراء ما حلّ بالبلاد، إذًا أتى بالتكرار ليتخلص من حمل نفسي ثقيل يؤرقه في كل وقت وحين، وأراد بذلك مشاركة المتلقي تلك الآلام النفسية، وتكمن المفارقة في استدعائه للزمن الماضي ليوضح

(١) الديوان صـ٣٦٢ ، الرسالة س١ ، ع١٠ ، ١٩٣٣/٦/١م، صـ٢١ ، ٢٢.
(٢) الشعر وهموم الإنسان المعاصر، د/ إخلاص عمارة – القاهرة – مكتبة الآداب – الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ، صـ١٨٧.

الفرق فيما بينه وبين الزمن الحاضر، فالمفارقة نفسية أو معنوية بحتة هنا، يهدف من ورائها إثارة المتلقي وتحفيز واستثارة همته.

وفي موضع آخر يكرر الجملة، يقول:-

" لست أنسى جمال ذاك المحيا بين زهو الصبا وطهر العفاف

....

لست أنسى طلاقة وبهاء وانتشاء وغفلة وابتساما

لست أنسى تعففًا وحياء وانتباها وفطنة واحتشاما

لست أنسى تلهفًا وافتنانا وهي تصغي إلى حديث اغترابي

لست أنسى ترفقًا وحنانا ما أحيلاه بعد طول الغياب! "[1]

يتحدث الشاعر عن محبوبته، أو قل عن حب المرأة عامة، فهو لا ينسى مجموعة من القيم، هي جميلة المحيا، وهي منتشية مبتسمة، كما أنها عفيفة حيية، أيضًا فطنة محتشمة، تسمع أكثر مما تتكلم، تترفق به حنونة. قيم جميلة ومتنوعة يؤكد على أنه لا يمكن أن ينساها بحال من الأحوال، يريد الشاعر أن يؤكد على فكرة معينة مليئة بالقيم والأخلاق، وكأنه يتحدث عن امرأة غير التي يراها في عصره، فالمفارقة هنا تكمن في المقارنة بين حالتين مختلفتين تمامًا: حالة تحمل كل القيم، وأخرى تتغير بتغير الأحوال، فهو يستدعي القديم ملحًا من خلال (لست أنسى)، وكأنه يقول: ليت هذه المبادئ تعود إلينا من جديد، وهذا هو الشعور الداخلي الذي يلح في الوصول به إلى المتلقي.

الاقتباس:

يأتي الشاعر بالاقتباس؛ بقصد التأكيد على ما يقول، والاقتباس يكون من القرآن الكريم، أو من الحديث النبوي الشريف، يقول الشاعر:-

" وما علمت كيف خاض الحتوف سجالاً وكيف تصدى لها

وكيف أحاط الردى بالرجال وزلزلت الأرض زلزالها " [2]

(١) الديوان صـ٢٥٩ ، الرسالة س١ ، ع٤ ، ١٩٣٣/٣/١م، صـ٢٤ ، ٢٥.
(٢) الديوان صـ١٣٣ ، الرسالة ع٣٢٧ ، س٧ ، سابق.

الشاعر يتكلم عن موقف من مواقف الحرب التي يخوضها الأبطال الفوارس، فنراه يتساءل عن هذا البطل المغوار، كيف خاض الحتوف؟! خاضها دون خوف أو رعب أو تردد، بل كانت مساجلته مبدعة، وزاد على ذلك أن أذاق أعداءه الردى والهلاك، ثم أتى بالآية القرآنية، قال تعالى: (إذا زلزلت الأرض زلزالها...)[1]؛ ليقرَّ المعنى في ذهن المتلقي، ويجعله في موقف لا يحتمل الإنكار، فالاقتباس يقوم بعملية تأكيد لفكرة الشاعر التي قد لا يصدقه فيها آخرون، فبهذا الاقتباس وضحت لنا الصورة في أجمل أحوالها، حيث أعطت لنا فكرة كاملة عن هذا الفارس الذي كان سببًا مباشرًا في زلزلة الأرض من تحت أقدام أعدائه، وتأتي المفارقة في كون أن هذه الفكرة شعورية نفسية يتمنى تحقيقها على أرض الواقع، فهو يتمنى امتلاك مثل هذا الفارس، أو قل: الفوارس الذين يجودون بأرواحهم للخلاص من أعدائهم، ومنح الحرية لأوطانهم.

وفي موضع آخر، يقول:-

فجاس العدو خلال الديار وغالتك يا نيل شر الغِيَل " [2]

اقتبس الشاعر هذا الشطر من قول الله تعالى: (فجاسوا خلال الديار....)[3]. استعان الشاعر في هذا البيت بالآية الكريمة؛ ليؤكد الفكرة الذهنية لديه، حيث هذا العدو الذي لا يراعي إلاًّ ولا ذمة، فكلمة (جاس) تدل على قوة التدمير والهلاك خلال الديار كلها، أي لم يتركوا شيئًا إلا وانتقموا منه، وانصرف غلهم نحو الطبيعة؛ حيث وصلت أيديهم إلى النيل فاغتالوه؛ مما يؤكد أنهم لم يتركوا شيئًا إلا وأرادوا الخلاص منه، أراد الشاعر من خلال هذه الآية أن يؤكد فكرته عن العدو، ونظرته الفلسفية اليه، حيث إنه عدو لا يرحم، ويهدف من وراء ذلك إثارة عزيمة الشباب، والرجال، بل والمجتمع بأكمله طالبًا عدم استخدام المهاودة والليونة لدى هؤلاء الأوغاد من الصهاينة والمستعمرين، إنها حالة نفسية يمر بها الشاعر، ويحاول جاهدًا أن يخرج بها من الذاتية إلى الموضوعية عبر الوصول بها إلى

(١) الآية " ١ " من سورة الزلزلة .
(٢) الديوان صـ٣٤٧ ، الرسالة ، س٢ ، ع٧٧، ١٩٣٩/١٢/٢٤م، صـ٢١١١، ٢١١٢.
(٣)الآية " ٥ " من سورة الإسراء .

المجتمع.

لقد استخدم الشاعر في كل الألوان البلاغية التي استخدمها ما يسمى "بالمعادل الموضوعي"، والذي هو عبارة عن إيجاد سلسلة من الأحداث تكون بمثابة صورة للانفعال الداخلي، وهذا لا يتمكن منه إلا الشاعر الذي يملك أدواته اللغوية والبلاغية، والذي يستطيع صنع قوة توتر بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن، وهو ما تعتمد عليه المفارقة.

الخاتمـــة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، الحمد لله الـذي علَّـم بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلم، وصلاةً وسلامًا على أشـرف الخلـق والمرسـلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فبعد رحلة بحثية، تحدثت فيها عن أهمية المفارقة بالنسبة للكثيـر مـن العلوم والفنون، وبينت من خلالها أن المفارقة مرتبطة بنشأة الإنسان، وأن وجود الظاهرة قد سبق ظهور المصطلح، ووضحت أيضًا أنواع المفارقة، ومدى تحققها في شعر "محمود الخفيف"، كما تحدثت عن القيم الفنية في شعره أيضًا، من خلال ذلك استطعت التوصل إلى أهم النتائج، والتي نجملها فيما يلي:-

١- المفارقة ذات أهمية كبرى بالنسبة لمختلف الفنون، لدرجـة نسـتطيع أن نقول من خلالها: لا يمكن أن يخلو فن من الفنون من المفارقة.

٢- وضح لنا أن المفارقة بهذا اللفظ لم تكن معروفة قديمًا، وإنما كانت تُعرف كظاهرة، مما يؤكد أن الظاهرة سبقت المصطلح.

٣- أن مصطلح لفظ "المفارقة" لم يعرف إلا في القرن السادس عشر، فلم تكن المعرفة به مجهولة عند العرب فقط،وإنما عند غيـرهم مثـل الفلاسـفة القدماء.

٤- أؤكد على خطأ من ينسب صنع المفارقة "لسقراط"؛ حيث وجـدنا الفنـون البلاغية القديمة وقد احتوت على المفهوم، فقد يرجع إليه الفضـل فـي المصطلح، أما المفهوم فهو قديم قِدم الإنسان.

٥- شاعرنا "محمود الخفيف" عاش في فترة فيها من فيها من العظماء، رأينا من خلال شعره ما لا يقل عظمة عن هؤلاء من أمثال العقاد وغيره.

٦- تعرض "محمود الخفيف" للظلم في حياته، عندما ألّف كتابه عـن "أحمـد عرابي"، وها هو يتعرض للظلم مرة أخرى بعـد مماتـه حيـث تجاهلـه الباحثون فلم يكتبوا عنه شيئًا.

٧- أدعو الباحثين للتعرض لأعمال هذا الأديب العظيم؛ لأنه يملك تراثًا أدبيًـا جديرًا بالبحث والدراسة.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

١- أساس البلاغة، الزمخشري – محمود بن عمر – تحقيق: محمد باسل عيون السود، ، بيروت – منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية –ط١، ١٩٩٨م، جـ٢.

٢- أسرار البلاغة في علم البيان – عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)– علق على حواشيه محمد رشيد رضا – القاهرة – دار المطبوعات العربية للنشر والتوزيع – د.ت.

٣- الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني –تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى – بيروت – دار الكتاب اللبناني – ط٥ – ١٩٨٣م.

٤- البيان والتبيين – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)– تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون– القاهرة– مطبعة المدني –ط٥ – ١٩٨٥م. جـ١

٥- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن – ابن أبي الأصبع المصري (ت:٦٥٤هـ) –تحقيق: حنفي محمد – القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –١٣٨٣هـ.

٦- التعريفات – علي بن محمد الجرجاني ، بيروت – مكتبة لبنان ناشرون – ١٩٨٥م.

٧- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق: السيد محمد رشيد رضا – بيروت – لبنان – دار المعرفة –د.ط– ١٩٨٢م.

٨- ديوان محمود الخفيف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط ١، ٢٠٠٧م .

٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – علي الحسين بن رشيق القيرواني –تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ـــ مصر – ١٩٦٣م – بيروت – لبنان – دار الجيل للطباعة والنشر – ط٣ – جـ١ .

١٠- عيون الأخبار – ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم – (ت:٢٧٦هـ) – المؤسسة المصرية للطباعة – ١٩٦٣م.
١١- كتاب البديع – عبد الله بن المعتز – (٢٩٦هـ) – اعتنى بنشره والتعليق عليه: أغناطيوس كراتشقوفسكي – دمشق – دار الحكمة .
١٢- كتاب الصناعتين – أبو هلال العسكري –تحقيق على محمد البيجاوي – مصر – مطبعة عيسى البابي الحلبي –١٩٧١م.
١٣- المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر – ابن الأثير – ضياء الدين أبو الفتح نصر الله – (ت:٦٣٧هـ) – تحقيق: الدكتور/ بدوي طبانة – القاهرة – مطبعة نهضة مصر – الطبعة الأولى –١٩٦٠م.

ثانياً : المراجع :

١- إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي – مدخل لغوي أسلوبي – محمد العبد – القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٨م.
٢- ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار الشعري – د/ عبد العزيز الأهواني – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٦٢م.
٣- إشكالية التلقي والتأويل – الرواشدة ، سامح –عمان – منشورات أمانة عمان الكبرى – ٢٠٠١م.
٤- بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي – محمد عبد المطلب – القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٨م.
٥- تأويل الخطاب الشعري – إبراهيم أمين الزرزموني – النظرية والتطبيق، محمد أحمد العزب نموذجًا – مكتبة الآداب، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ط١،.
٦- تشريح النقد محاولات أربع – نورثرب فراي –ترجمة: محمد عصفور – عمان – منشورات الجامعة الأردنية – ١٩٩١م.
٧- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع – أحمد الهاشمي –بيروت – لبنان – ط١٢ – د.ت.
٨- خطاب المفارقة في الأمثال العربية – مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا –

نوال بن صالح –رسالة دكتوراه – النقد الأدبي – جامعة بسكرة – كلية الآداب، ٢٠١١/٢٠١٢م.
٩- دراسات في النظرية والتطبيق- خالد سليمان، المفارقة والأدب – عمان – دار الشروق للنشر والتوزيع –١٩٩١م/١٩٩٩م، د.ط.
١٠- الديوان- محمود الخفيف – مخطوط .
١١- الزمن الوجودى – عبد الرحمن بدوى – مكتبة النهضة المصرية – ط٢ – ١٩٥٥م.
١٢- الزمن الوجودي – عبد الرحمن بدوي –القاهرة – مكتبة النهضة المصرية – ط٢، ١٩٥٥م.
١٣- شعر زهير بن أبي سلمى – تحقيق: فخر الدين قباوة – صنعة الأعلم الشنتمرى – مطبعة حليا – الطبعة الأولى – ١٩٧٣م.
١٤- الشعر وهموم الإنسان المعاصر – د/ إخلاص عمارة – القاهرة – مكتبة الآداب – الطبعة الأولى – ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
١٥- ط١، ١٩٩٣.
١٦- عن بناء القصيدة العربية الحديثة – علي عشري زايد –القاهرة – مكتبة النصر – ط٣، ١٩٩٣م.
١٧- فضاءات الشعرية – الرواشدة ، سامح – عمان – المركز القومي للنشر – ١٩٩٩م.
١٨- فن الرواية العربية، يمنى العيد، القاهرة – دار الأدب –د.ط، د.ت.
١٩- فن القص بين النظرية والتطبيق – نبيلة إبراهيم، مصر – مكتبة غريب – د.ط – د.ت.
٢٠- قضايا الشعرية – رومان جاكسبون –ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون – الدار البيضاء – دار توبقال للنشر – ١٩٨٨م.
٢١- المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية – وليم راي، ترجمة: يوسف عزيز – بغداد – دار المأمون للترجمة والنشر – ١٩٨٧م.
٢٢- المفارقة القرآنية – دراسة في بنية الدلالة، الدكتور/ محمد العبد، دار

الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، مطبعة الأمانة.
٢٣- المفارقة القرآنية – قراءة في بنية الدلالة – محمد العبد، القاهرة – مكتبة الآداب – ط٢، ٢٠٠٦م.
٢٤- مفارقة في الشعر العربي – ناصر شبانة، بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط١ ، ٢٠٠٢م.
٢٥- المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة – ١ مجلد٤ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٨م.
٢٦- المقاربة السيميائية للنص الأدبي – أدوات ونماذج محاضرات الملتقى الوطني الأول (السيميائية والنص الأدبى) – عبد الجليل منقور –قسم الأدب العربي – جامعة محمد خيضر بسكرة – ٢٠٠١م.
٢٧- الموسوعة البريطانية الحديثة ـــ نقلاً عن: شبانة ، ناصر – المفارقة في الشعر العربي الحديث – بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ٢٠٠٢م جـ ٦.
٢٨- موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، ترجمة: الدكتور/ عبد الواحد لؤلؤة، بيروت ،الموسوعة العربية للدراسات والنشر،
٢٩- النقد التطبيقي التحليلي – عدنان خالد عبد الله – بغداد – دار الشئون الثقافية العامة – ١٩٨٦م.
٣٠- هيراقليطس فيلسوف التغيير وأثره في الفكر الفلسفي – تأليف: د/ على سامي النشار ، ود/ محمد علي ، ود/ عبده الراجحي – مصر – دار المعارف – ط١ –١٩٦٩م.

ثالثا : المعاجم اللغوية :

١- الصحاح – الجوهري إسماعيل بن حماد –تقديم: العلامة الشيخ/ عبد الله العلايلي، دار الحضارة العربية – بيروت – ط١، ١٩٧٤م.
٢- القاموس المحيط – الفيروز أبادي – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٩م.

٣- لسان العرب – ابن منظور –٧١١هـ – بيروت –دار صادر –ط٢، د.ت.
٤- مختار الصحاح للإمام الرازي – ت:٦٦٦هـ– الكويت– دار الرسالة– ١٩٨٣م.
٥- المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية – بيروت – د.ط – ١٩٩٤م،.
٦- المعجم الوسيط، إخراج: الدكتور. إبراهيم أنيس وآخرين – وبإشراف: حسن علي عطية، ومحمد شوقي أمين، ط٢، جـ٢.

رابعا : الدوريات :

١- المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، فصول – مجلة النقد الأدبي، المجلد الثاني، العدد الثاني، يناير/فبراير/مارس، ١٩٨٢م.
١- مقال صفحة من كفاح أديب شاعر – محمد رجب البيومي – مجلة الأزهر – ديسمبر ١٩٦١م.
٢- لغة المفارقة – كلينث بروكس –ترجمة: محمد منصور أبا حسين – مجلة الدارة – عدد ٢ – السنة ١٦ – ١٤١١هـ.
٣- عناصر المفارقة – محمود خضر خربطلي – خالد سليمان – مجلة كلية الآداب الأجنبية – اتحاد الكتاب العرب – ع (٩٣) – شتاء ١٩٩٧م.
٤- المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي – المجلد٧ – العدد٣، ٤، إبريل/سبتمبر/١٩٨٧ – الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥- الرسالة ، العدد ٣٤٨ ، بتاريخ ١٩٤٠/٣/٤م.
٦- مجلة الرسالة على عددين (٦٠١ ، ٦٠٢) بتاريخ ١/٨ ، ١٩٤٥/١/١٥م.
٧- الرسالة ، س١٤ ، ع٦٥٣ ، بتاريخ ١٩٤٦/١/٧م.
٨- الرسالة ، ع٧٣٤، بتاريخ ١٩٤٧/٧/٢٨م.
٩- الرسالة س١٦ ، ع٧٩٧٠ ، بتاريخ ١٩٤٨/٦/٧م.
١٠- مجلة الرسالة ، س١ ، ٨ ، ٢ ، ع١٣ ، ٣٥١ ، ٤٥ – السنوات ١٩٣٣

، ١٩٤٠، ١٩٣٤م.
١١- مجلة الرائد، س٢، ٤، ٦ – الأعداد ٣ ، ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ٢ – السنوات ١٩٥٦م، ١٩٥٧م، ١٩٥٩م، ١٩٦٠م.
١٢- الأهرام – العدد ٤٢٣٨٤ بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/٢٢م.
١٣- مجلة الرواية س١ ، ٣ ، ٤ – الأعداد ٨، ٤٨ ، ٥٤ ، ٢ ، ٤ – السنوات ١٩٣٧م، ١٩٣٩م، ١٩٥٢م، ١٩٥٣م.

خامسا : المواقع الالكترونية :

١- مفهوم المفارقة في النقد الغربي – علي ، نجاه – مجلة نزوى – مؤسسة عمان للصحافة والنشر – ع (٥٣) – يناير ٢٠٠٨م .
(www.nizwa.com/vohume٥٣dr٦.html)

فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة: وفيها أهمية المفارقة بالنسبة للفنون المختلفة، وضرورة الفصل بين وجود المفارقة ووعي الإنسان بها	٣٨٠٣
توطئه : وعي الإنسان بالمفارقة ، والحقول المعرفية للمفارقة ، وبعض التعريفات التي تؤكد على أهميتها ، والتعريف بالشاعر	٣٨٠٧
المبحث الأول : **تعريف المفارقة لغة واصطلاحاً**	٣٨١٦
تعريف المفارقة لغة : تعريف المفارقة اصطلاحاً :	٣٨١٦
المبحث الثاني : **الرحلة التاريخية لمفهوم المفارقة**	٣٨٢١
المفارقة عند العرب فى البلاغة العربية القديمة	٣٨٢١
المفارقة والفلسفة	٣٨٢٦
المفارقة عند الفلاسفة المحدثين	٣٨٢٨
المفارقة في النقد الحديث	٣٨٢٩
المبحث الثالث : **صانع المفارقة وأدواتها ووظيفتها**	٣٨٣٣
المفارقة والمتلقي	٣٨٣٣
لغة المفارقة	٣٨٣٤
أدوات المفارقة	٣٨٣٦
عناصر المفارقة	٣٨٣٦
وظيفة المفارقة	٣٨٣٨
أهداف المفارقة	٣٨٣٩
أنواع المفارقة	٣٨٤٠

الموضوع	الصفحة
بواعث المفارقة عند الخفيف	٣٨٤٢
المبحث الرابع : أنواع المفارقات عند الخفيف	٣٨٤٦
المفارقة اللفظية	٣٨٤٦
مفارقة التضاد	٣٨٤٦
مفارقة المدح بما يشبه الذم	٣٨٥٣
مفارقة السخرية	٣٨٥٦
مفارقة الإنكار	٣٨٦٠
مفارقة الموقف	٣٨٦٣
المبحث الخامس	٣٨٦٥
المفارقة الرومانسية	٣٨٦٥
المفارقة الدرامية	٣٨٦٧
المفارقة التصويرية	٢٨٦٩
المفارقة الزمانية	٣٨٧٣
المفارقة المكانية	٣٨٧٦
مفارقة الشخصية	٣٨٧٧
المبحث السادس : المفارقة والقيم الفنية	٣٨٨٠
المفارقة والتشبيه	٣٨٨٠
المفارقة والاستعارة	٣٨٨٢
المفارقة والكناية	٣٨٨٣
المفارقة والطباق	٣٨٨٥
المفارقة والجناس	٣٨٨٦
المفارقة والتكرار	٣٨٨٨

الموضوع	الصفحة
المفارقة والاقتباس	٣٨٨٩
الخاتمة والنتائج	٣٨٩٢
فهرس المصادر والمراجع	٣٨٩٣
فهرس المحتوى	٣٨٩٩